فِدَاءٌ

obeikandl.com

obeikandl.com

فداء

تأليف

محمود تيمور

الناشر

دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

obeikandl.com

obeikandl.com

أشخاص المسرحيـــة

١ — رجال

فرعون : ملك مصر ، فى مقتبَل العمر ، نزّاع إلى الإصلاح والتجديد ، فى غير طَفْرَة ولا انقلاب .

مريابو : رئيس الكهنة ، رمز المحافظة على الأوضاع الدينية ، والتقاليد المتوارَثة .

رميرى : قائد فى رَيْعان الشباب ، يلتهب حماسة للوطن ، وثورة على الجمود . وهو خاطبُ « رونا » .

شونسو : قائد خبيث الطويّة ، ينافس « رميرى » ويحقد عليه .

سحورع : قَزَم من حاشية « شونسو » .

تحوتى : كبير الأحراس فى قصر فرعون .

نفرع : كاهن يلوذ « بمريابو » .

ب — نساء

رونا : أخت فرعون من الرضاع ، مخطوبة « رميرى » وديعة الروح ، قوية الإيمان .

رتوتى : حاضِنَة « رونا » .

أنات : كُبْرَى وصائف « رونا » .

obeikandl.com

الفصل الأول

ردهة فى بيت « رونا » تنتهى بمستشرف مطل على حديقة يرى خلفها النيل ، وقد بسقت على شاطئه صفوف النخيل .

« رونا » فى حلة بهية قد أخذت زينتها ، متأهبة للقاء خاطبها « رميرى » .

« رونا » و « رتوتى » تعنيان بإعداد مائدة حافلة بألوان الطعام .

بعض الصبايا من توابع « رونا » ينتقلن هنا وهناك جالبات الصحاف .

رونا : ضعى الفاكهة هنا يا « رتوتى » . أما الفطير فهناك . . . اللحوم يجب أن تكون بجانب الطيور .

تحدق فى صحفة عليها حمائم مشوية .

انظرى يا « رتوتى » إلى هذه الحمامة . . .

رتوتى : ماذا ؟

رونا : ألا ترينها تبتسم ؟

رتوتى : كيف ؟

رونا : نعم ، تبتسم ابتهاجاً ومَرَحًا .

رتوتى : عَجَباً !

رونا : إنها تهتزُّ طرباً . . . إنها تتطلع أن تكونَ من نصيبِ « رميرى » .

تغدو وتروح . تترنم مغمغمة ، وهى محبورة النفس .

تعود إلى المائدة تحدق فيها لحظة .

لا ، لا . إن هذه الألوانَ لا تكفى . لا بدَّ أن نأتىَ بألوانٍ جديدة .

تصيح :

« أنات » . . . « أنات » . . .

تقدم « أنات » ، فتقول لها « رونا » فى حمية واهتمام :

أحْضِرِى أطعمةً أخرى . . . لا تُبْقِى على شىء فى البيت ، بل لا تُبْقِى على شىء فى السوق . . . اذهَبِى .

تدفعها دفعاً ، فتنصرف « أنات » وتتبعها الصبايا لإنفاذ ما أمرت به « رونا » .

رتوتى : أحاسبةٌ أنتِ يا بنتى أن مَعِدَةَ « رميرى » تَسَعُ هذا كلّه ؟

رونا : لا يهدأُ لى بال إلا إذا حَوَتْ هذه المائدة كلَّ ما لَذَّ وطاب . . . عجيبٌ أمرُكِ يا « رتوتى » . . . أذَهَبَ عنك

أن هذه مائدةٌ أُعِدُّها لأحبِّ الناس إليَّ ، وأعزِّهم عندى ؟ سأكون بجواره أتنقِّى له وأتخيَّر . وهل غاب عنك أنه اغتربَ عن وطنه عاماً يجاهدُ ويجالد ، عاماً عَصيباً لعله لم يَفْرُغْ فيه لمَطْعَمٍ هَنِيّ ، أو مشرب سائغ ؟

تنظر إلى المائدة ، فيبدو عليها تأفف وقلق .

لا ، لا . . . لا تَروقُنى هذه المائدة . . .

رتوتى : ماذا يروقك إذن يا بنتى ، والمائدة على خير ما يرام ؟ أَرِينى ماذا يُعْوِزُها ؟

رونا « فى اهتياج » : يُعْوِزُها أن تكون منسَّقة ذاتَ رونق . ألستِ تعلمين أن « رميرى » رَهِيفُ الذوق ، دقيق الحس ، عامرَ النفس بحبِّ الجمال ؟ . . . هذا ارْفعيه من هنا ، وذاك ضعيه هناك . . . أما تلك الصَّحْفة فموضعُها أقصَى المائدة . . .

تميل عن المائدة قليلا ، ثم ترسل بصرها إلى المستشرف تقول منتشية كأنها تحلم :

أرأيتِ إلى الشمس كيف تَبْرُزُ اليومَ أجملَ إشراقاً ، وأنطفَ إشعاعا ؟ هلاَّ أصغيتِ إلى النيل ، فسمعتِ لموجه شَدْواً رخيماً ؟ أوَلَسْتِ تشهَدِينَ النخيل تتأوَّدُ أعطافُه من نَشْوَة

ورِماح ؟ أوَلا تَرَيْنَ رسائل النسيم تَرِفُّ على المروج الخضر حاملةً إليها فَرْحَةَ البُشرى ؟ كل ما فى الكون حولى نَشْوَانُ طروب ، يرحِّب معى باستقبال خاطبى الحبيب !

رتوتى : الوطن كله ، أرضه وسماؤه ، مَدِين للقائد الغالب المظفَّر ، ذلك الذى قهر العدوّ ، وذَادَ عن الحِمى .

رونا : وإنه لواجدٌ فى حفاوتى به ، واستقبالى إياه ، لذةَ الراحة بعد التعب ، ومتعةَ الأنس بعد طول الوحشة .

رتوتى : وهل تظنِّين أن « رميرى » يَفْرُغ اليوم للقدوم علينا ؟ ألا يَشْغَلُه لقاؤه لفِرعَون ؟

رونا : إنه لا محالةَ قادمٌ علىّ ، فقد رغبتُ إلى فِرعَوْنَ فى أن يأذَنَ « لرميرى » أن يرجعَ إلىَّ عقبَ لقائه إياه .

رتوتى : وأنَّى لفرعونَ أن يردَّ لكِ مطلَبا ؟ . . . أنتِ أختُه من الرضاع ، ومكانُكِ من قلبه لا يُساميه مكان . ولكن ألا تتوقَّعين منه أن يدعوَ « رميرى » إلى مائدته يصيبُ معه طعامَه ؟

رونا : إن « رميرى » لا يستعيضُ بطعامى أىّ طعام ، وإن كان

على مائدة فِرعَون ، فلن يُقَرَّب له فرعونُ طعاماً طَهَتْه يد حبيبته « رونا » !

تميـل على المائدة ، وتمد يدها إلى بعض الصحاف ، وهى تقول :

ذُوقِى هذا الفطير . لقد تفنَّنْتُ فى صُنْعه ، فجاء بِدْعا من الطُّرَف .

تقتطع من إحدى الفطائر قطعة فتقدمها لها ، فتتراجع الحاضنة فتقبل « رونا » عليها ، وتدس فى فمها قطعة الفطير ، وهى تقول :

أخبرينى كيف تَجِدينَه ؟ أيصيبُ « رميرى » نظيراً له على مائدة فرعون ؟

رتوتى « وفى فمها الفطير » : هيهاتَ أن يكون له نظير . . .

تقتطع « رونا » من الفطير قطعة أخرى ، وتحاول أن تضعها فى فم « رتوتى » ، فتهرب من وجهها ، وهى تقول :

لقد ذقتُه . ما أجودَه . حَسْبى ، حَسْبى يا ابنتى !

تهجم عليها « رونا » فتحتضنها ، وهى تقول :

أحبك يا « رتوتى » . . . ما أطيبَ قلبَك يا « رتوتى » !

تتلاثمان ، وتتعانقان .

يبدو القائد « شونسو » ، فيتأملهما صامتاً ، ثم يتضاحك فى خفوت ، وفى يمينه سوطه يهزه ذات اليمين وذات الشمال .

obeikandi.com

شونسو : على رِسْلِكما أيتها العاشقتان المعشوقتان !... أما كفاكما عِنَاقاً وتقبيلاً ؟

« رونا » و « رتوتى » تتزعجان .

رتوتى « مغمغمة » : القائد « شونسو » !

شونسو : أنا نفسى ...

« رونا » يرتسم على قسمات وجهها استياء .

رونا : لأىِّ أمرٍ قَدِمْتَ الساعةَ أيها القائد ؟

شونسو : أَعْلَمَنِى « سحورع » أنك تحتفلين بعودة « رميرى » ؛ وأنك فى أبهَى زينة وزُخرف ، فجئتُك أتَمَلَّى مَرْآكِ ، وأنتِ فى زينتك ...

يحدق فيها ويتفحصها معجباً بها .

حقًّا صدق « سحورع » حين أخبرنى بأنكِ اليومَ عروسٌ تتألق .

رونا « فى ضيق به » شكراً لك ... إن « سحورع » لا يترك نبأً إلا نَقَلَه إليك .

شونسو : لا ريب فى إخلاصِ « سحورع » لى .

رونا « ساخرة » : وإنكَ لتَجزِيه على جميله بنَفَحاتِ سوطِكَ هذا .

تشير إلى السوط فى يد « شونسو » .

شونسو « وهو يفرقع بسوطه » : هذا السوط حبيب إليه . وإن نَفحاتِه لتنزل عليه برداً وسلاماً .

رتوتى : عجباً !... أيحبُّ المرء ما يعذِّبه ؟

شونسو : نعم ، فالحبُّ آفة !

يصمت قليلا ، ثم يرنو إلى « رونا » متابعا قوله :

شَدَّ مَا يَلْقَى الحبّ يا « رونا » من لوعةٍ فى حبه ، ولكنه بما يَلْقَى راضٍ مِطْوَاع .

يدنو منها قائلا :

طالما بَشْشْتُكِ وَجْدى . . . طالما استوهبْتُكِ عَطْفاً علىَّ . . . فلم أظفَر منك بما يَأْسُو القلبَ الجريح .

رونا : ما كنتُ خادعةً فأغشَّك . . . أنتَ عليم بأمرى ، فقلبى بمن يَهْوَى مشغول .

شونسو : لم أجهَلْ ما بينكِ وبين « رميرى » . . . إنه قائد أعرِفُ منزلتَه ، فقد كان تحتَ إمرتى ، وغريبٌ أن تُؤثِريه علىَّ !

رتوتى : وأىُّ غرابة فيما يصنعه الحبّ ؟ . . . ألم تقلْ منذ قليلٍ إن الحبّ آفة ؟ !

شونسو : حقًّا يا « رتوتى » . ومكتوبٌ على من ابْتُلِيَ بالحبِّ أن يتجرَّع كأسه حتى الثُّمالة .

يخطو متلاعباً بسوطه ، و « رونا » ناظرة إليه ، كأنها تتعجل انصرافه ، فيقول :

ولكن ما أقلَّ الأوفياءَ فى الحب ! وما أكثرَ من تميل بهم الملابَسات والأحوال ، لا يقيمون على عَهْد ، ولا يُبْقُون على وُدّ !

رتوتى : المحبّ الصادق يَبْقَى على عهده أبدا .

يقبل عليها « شونسو » ، ويضرب كتفها بيده ، قائلا :

شونسو : حقًّا ، هذا شأن المحبّ الصادق . ونادرٌ من يَكُونُه ! . . . إن الأحداثَ لتدفَع الناس إلى أن يستبدلوا جديداً بقديم ، وحاضراً بغائب !

رونا : ماذا أنتَ قاصدٌ بهذا الكلام يا « شونسو » ؟

شونسو : ما قصدتُ شيئاً . . . أرجو أن تُحْسِنِي بى الظنّ !

يتابع خطوه ، وهو يتلاعب بسوطه ، قائلا :

لقد قَضَى « رميرى » فى غربته عاماً كَمُلَتْ شهوره ، وهو يضرب فى بلادٍ تحفِل بالغِيد الحسان . أخشَى أن يكون قلبه قد صَبَا إلى إحداهنّ !

رونا « وقد بلغ منها الضيق كل مبلغ » : إنك لتُلْقِي القول على عواهنه ، فاقصِدْ فى قولك . . .

شونسو : إنى لَأَعرِف ماذا أقول ، ولستُ أَتجنَّى على « رميرى » فهو قائد منتصر . ما فى ذلك رَيْب لمرتاب . و « مصر » كلُّها تتهيَّأ لاستقباله ، والهُتاف باسمه .

رتوتى : وتلك هى مائدة رائعة ، أعددناها حفاوةً به ، وتكريماً لِمَقْدَمِه السعيد .

شونسو « ينقل بصره بين المائدة و « رونا » ويتنهد مبتسما فى تخابث » : محظوظٌ أنتَ يا « رميرى » ، ولا سيَّما عند الحِسَان . . . هنا تحتفى بك غادةٌ كريمة ، وهناك فى المَوْكِب تصحَبُكَ غادة أخرى كريمة !

رونا « وقد اهتاجت متسائلة » : فى المَوْكِب تصحَبُه غادة ؟

رتوتى : من تلك التى تَصْحَبُه ؟

شونسو « وهو يذرع الردهة ، كأنه غير مبال بالحديث » : لقد أُتيحَ للقائد « رميرى » أن ينتصر بما اتخذ من خُدَع الحرب ، فدان له العدوّ ، واستسلم مَلِكُ « هورا » مؤدّياً الجزيةَ لفِرعَون . . .

رونا : لم تخبِرْنا مَنْ تلك التى تَصْحَبُه فى موكبه ؟

شونسو : صَبْرَكِ ياحسنائى . . . لقد بعثَ ملك « هورا » إلى فرعون بابنته رَهِينةً لهـذه الجزية ، ليثبتَ بذلك صدقَ نيته ، وصحةَ عزمه على الوفاء . . . وأيةُ فتاة هى ابنـة ملك « هورا » ؟ . . . إنها دُرّة بين الفاتنات المِلاح !

رتوتى : وما شأنُ « رميرى » بها ؟

شونسو : هو الذى اختارها ، وإنها فى كَنَفه ، يُفيضُ عليها العطفَ والحُنُوَّ ، ويَحُوطُها بالإعزاز والتكريم . . . والحبُّ آفة يا « رتوتى » !

رونا « مهتاجة » : إن لكلامك خَبِيثاً ، فاكشِفْ عن غَرَضِك .

شونسو : أىُّ خَبِيثٍ فيما أقول ؟

رونا : أنا لم أفهَمْ شيئاً . . .

رتوتى : أَوْضِحْ ما وراءك !

تدخل « أنات » حاملة سفطا .

أنات « لرونا » : جئتُ لكِ ياسيدتى بأطيبَ ما فى السُّوق . . . ألا تنظرين ؟

رونا « وفى لهجتها ضيق واغتمام » : اذهبى بالسَّفَط عنى . سأدعوكِ بعد قليل .

تنصرف « أنات » حاملة السقط .

تلتفت « رونا » إلى « شونسو » وهى تقول :

لا تَكْتُمْ عنى شيئاً مما تعلم ، وصَارِحْنى بكلِّ ما هنالك . .

شونسو « وهو مائل أمامها فى جد » : أتريدين أن تعرفى جَلِيَّةَ « رميرى » ؟ وكيف كان يحيا فى مملكة « هورا » حياة السادِرِ اللاهى ، لا عَاصِمَ له ولا رادِع ؟

رونا : طالما جئتَ تخبرنى بهذا من قبلُ .

شونسو : ولكنكِ لم تُلْقِى لى فيما مضى سَمْعا . . . فالآن يتبينُ لكِ صدقُ ما كنتُ أخبرك به ... استقبلى اليومَ قائدَكِ المظفَّرَ فى موكبه المعظَّم ، بجانبه الأميرة الحسناء بنتُ مَلِكِ « هورا » ، تلك التى شَغَفَتْه حبًّا ، ولم تَدَع لغيرها فى قلبه مكاناً . . .

رونا « وكأنها تناجى نفسها » : أحقًّا « رميرى » ؟ أكاد أُنكر سَمْعى !

شونسو « متابعاً قوله » : هكذا حظُّ الرجال عند النساء ! . . . فمن نَكَث عهدَهُنّ لَقِىَ منهنّ الحفاوةَ والإقبال ، ومن وَفَى لهنّ ومَحَضَهُنَّ الودَّ لم يكن له فى قلوبهنَّ نصيب . . . هأنذا

قد التمستُ خِطْبَتَكِ مرّات ، فردَدْتِنى لا تستجيبين لى ، ولكنى ما زلتُ أحفظُ لك قلبى كلَّه ، لا ينافسُكِ فيه شريك . وما زلتُ أرتقبُ منكِ كلمةَ الرضا والقبول .

رونا « فى مناجاتها لنفسها » : « رميرى » ؟ أيكون هذا حظّى منك ؟

شونسو « وقد اتخذ لحديثه لهجة أخرى مخاطبة » : مَنْ يدْرِى ؟ لعل له عذراً يُنْجيه من الملام !

رتوتى : أىّ عذر له فى هذا الصَّنيع ؟

شونسو : أَحْسِنِى به الظنّ ، وقدِّرِى موقفَه الدقيق . . . لا تَنْسَىْ أنها أميرة ، فهى ابنة ملك عظيم . وعسَى أن يكونَ « رميرى » قد ابتغَى بالزواج بها تحقيقاً لِمَأْرَبٍ يرتجيه لنفسه الطَّمُوح !

« رونا » تنهمر دموعها ، مرتمية على صدر « رتوتى » .

رتوتى « وهى تلاطف « رونا » . » : أَقْصِرِى عن البكاء يا بُنَيَّة ، واحفَظِى على عينيك غَالِىَ الدمع . . . فليس فى الرجال من يستحقُّ أن تُبْذَل من أجله عَبْرة واحدة ! . . . ألم أحدِّثْكِ بما كان من أمر زوجى اللعين . . .

رونا « تقاطعها بقولها » : حَسْبِى . . . حسبى . . . لا أُطِيقُ حديثاً .

فترة صمت .

« شونسو » يتقدم من « رونا » قليلا .

شونسو : أُقسم لكِ يا « رونا » بحقِّ « آمونَ » الأعلَى إنكِ لو انْتَخَلْتِ الناسَ جميعاً لما خَلَصَ لك من يماثلنى إخلاصَ حبّ ، ووفاءَ قلب ! . . . فَتَرَوَّىْ فيما أنا عارضُه عليكِ . . . لقد قَدِمْتُ خاطباً لك ، وما إخالُكِ إلا تعرفين ثَرائى الطائل . به نستطيع أن نَتَذَوَّقَ زُبدةَ ما فى الحياة من إسعاد . فإن لم يَطِبْ لك المُقامُ فى أرجاء الوطن ، ضَرَبْنا فى الآفاق الفِسَاح من جَنوب وشِمال . . . تَخَيَّرِى ما شئتِ من المَوَاطن ، وارسُمِى ما يروقُك من خُطَط . فإنى طَوْعُ مَشيئَتِكِ مُنْقاد .

صمت .

« رونا » تكفكف دمعها .

يقدم القزم « سحورع » فيلحظ الوجوم المخيم على الجمع ، ويبادل « شونسو » بعض النظرات .

سحورع : مالى أراكم مُتَقَطِّبِى الوجوه ، كأنكم قريبُو عهدٍ بتوديع عزيز إلى مقرِّه الأخير ؟! . . . فِيمَ بكاءُ الحسناء « رونا » ؟ رِفْقاً أميرتى بهاتين العينين الساحرتَيْن ! . . . إن البكاء لَيَذْهَب بما لهما من فتنة وجمال .

رونا : إليكَ عنى يا « سحورع » ، فإنى لا أحتملُ الآنَ قولًا من أحد .

سحورع : كيف أدَعُكِ يا أميرتى فريسةً للبكاء ؟ ألا قلبَ لى ؟ أأرى الوردةَ تَعْصِف بِنَضْرَتِها الرِّيح ، دون أن تَثُورَ نفسى ؟ ما أحوجَك إلى البشاشة والطلاقة فى يومٍ تستقبلين فيه قائدَنا المظفَّر ! ... بربِّك يا أميرتى لا تبكى ، فإن بكاءَك يمزِّق نِياطَ قلبى .

شونسو : دَعْها تبكى أيُّها القَزَم ، فربما كان البكاء لها دواء .

سحورع : أىّ دواء يا سيدى فى هذا البكاء ؟ إن الدمعةَ ليست إلا جمرةً سائلة . وما هى إلَّا ذَوْبُ الرُّوح تعتصرُه الأحزان . والعاقلُ الأريب من يَحْرِص على ألا تذوقَ عينُه طعمَ البكاء ، فإن الدنيا كلَّها أهونُ من قطرةٍ من دمع !

شونسو : كفانا من حكمتِكَ البلهاء أيها المأفون . فإن من لا يبكى لا يشعُر ، ومن فَقَد الشعورَ فإنه هو والبَهيمةُ على حدٍّ سواء ...

سحورع « لرونا » : حَكَّمْتُكِ فيما بينى و بين سيدى « شونسو » أبقوله تؤمنين ، أم برأيى تأخُذين ؟

شونسو «لسحورع ، وهو يلسعه بسوطه» : ألم أقل لكَ دَعْها وشأنَها ؟

سحورع «وقد أوجعه السوط ، يتغيظ ، ولكنه يتجلد قائلا» : أوَّاهُ من هذا السوط البَغيض ، تمنيتُ أن أستحوِذَ عليه يوماً !

يلتفت إلى «رونا» قائلا :

ألا حيلةَ لكِ فى انتزاعِه ، وتَمْكِينِي منه ؟

رونا «مواجهة «شونسو» و «سحورع» .» : لى إليكما رجاء. أريد أن أخلوَ بنفسى . . . أحْسِنَا بى صُنْعا !

رتوتى : إن «رونا» فى حاجة إلى أن تستريحَ ... لقد رغبتْ إليكما فى الإنصراف .

سحورع : كيف ننصرف ؟ وهذه الطَّيِّبَاتُ التى نَنْشَقُ عَبِيرَها ؟

يتشمم الهواء نحو المائدة .

لا أنصرفُ عن هذه المائدة قبلَ أن أُسْكِتَ ثورةَ مَعِدتى !

يتجه إلى المائدة باسطاً يده .

رتوتى «تبادره فتعطيه فطيرة ، وتقول له» : خُذْ هذه ، وامْضِ عنا.

سحورع «يلتهم الفطيرة قائلا» : عندى طرائفُ أخبار . . . أليس لكم شوقٌ إلى الإستماع ؟

شونسو : ماذا عندَك من أخبارٍ أيها القَزَم ؟

سحورع « ملتفتاً إلى « رونا » . » : أحمل إليكِ بُشْرَى تملأُ نفسَكِ من غبطة وسرور . . . شَارَفَ المدينـةَ مَوْكِبُ القائد « رميرى » آيباً إلى الوطن .

صوت بوق يتعالى من بعيد .

ألم يبلغْ سَمْعَكِ صوتُ البُوق ؟ ذلك أَذَانٌ بقـدوم القائد المظفَّر على قصرِ « فِرْعونَ » الأعلى .

رونا « مهتاجة » : أَدَخَلَ المدينةَ « رميرى » حقّاً ؟

سحورع : ليس هذا كلَّ ما عندى من الأخبار . . . إليـكُمْ جديداً .

بصمت لحظات غير مبال بما حوله من نظرات الاستطلاع .

رتوتى : ماذا ؟ هاتِ الجديدَ من أخبارك . . .

« سحورع » يشير إليها بيده أن تسرع إليه أولا بما يمسك رمقه من الفطير ، فتناوله فطيرة على عجل ، فيحشو بها فمه ، ويتابع قوله :

عَقَدَ رئيسُ الـكهنة مجلسَه الرسميَّ لِانتخاب عَرُوسِ النيل ، إذِ اقتربَ موعدُ الِاحتفالِ بِزِفافها هـذا العامَ إلى النهر المقدَّس .

رتوتى « مهمهمة » : عَرُوس النيل ؟

شونسو : نعم ، عَرُوس النيل . . .

رتوتى «وهى محدقة فى «رونا».»: يارَبَّ الأرباب، كُنْ لها حافظا!

رونا «مشرئبة إلى السماء»: طُوبى لمن تكونُ للنيل عروسا!

شونسو «مبتسما»: حَقًّا ما أيْمَنَها!... إنها تبذُل نفسها للوطن فداء، وللنيل وَلاء!

سحورع: أىّ فداء للوطن؟ وأىّ وَلاء للنيل؟ إنها وَثنيةٌ تقام للسَّمك فى أرجاء النهر. وإن السمك ليتشوّفُ منذُ الآنَ لِمَقْدَم تلك العروس المختارة، فهو يُرْهِفُ لها أسنانَه لينعَمَ بجسَدِها غَضًّا بَضًّا...

رونا «فى غير مبالاة بقوله»: ما أسعدَكِ يا عَرُوسَ النيل... حسبُكِ غُنْماً أن تُذيبى أشجانَكِ فى أمواجِ النهرِ المقدّس!

تركع على ركبتيها فى ابتهال

شونسو: لقد تجلَّتْ فيكِ اليومَ رَوْعَةُ الإيمان يا «رونا»!

رتوتى: إن قلبَها عامرٌ بالإيمان منذُ نعومة الأظفار.

شونسو: خَشِيتُ أن تكونَ آراء «رميرى» ومَناحِى تفكيره قد نالتْ من جلال ذلك الإيمان، وعكَّرَتْ من صفاء تلك العقيدة!

رونا: أفى عقيدةِ «رميرى» تشُكّ، وبإيمانه تتَرَيَّب؟

شونسو: لا شكَّ عندى ولا تَرَيُّب، ولكن «رميرى» سلَكَ فى

الحياة منهجاً غيرَ ماتوارثَه الأعقابُ عن الأولين، فحادَ عن السَّنَن الذى خَطَّه رجال الدين . . . ألم يَنْتَهِ إليك ما شَجَرَ بينه و بين رئيس الكهنة من مُنازَعة وخلاف ؟

سحورع : أما أنا فلا منازَعةَ بينى و بين رئيس الكهنة ولا خلاف . ولو بحثتُمْ عن عقيدتى لتبيَّنَ لكم أنها حِرْباءةٌ لا يستقرُّ لونها على حال . ومن كانتْ عقيدتُه حِرباءةً ذاتَ ألوان ، سَلِمَ من الأذى ، وعاشَ حياتَه غيرَ ممقوت ولا مُهان !

رتوتى : أنَّى لرئيس الكهنة أن يَرْضَى عنك ، وعقيدتُك حِرباءة تتلوَّن ، وهو لا يَرْضَى إلا عن الطائعين المخلصين ؟

سحورع : هذا سرٌّ ياسيدتى عظيم !

يقترب منها ، مكملا حديثه :

لكى أبوحَ لك بهذا السرّ ، يجب أن تمنحينى لا أقلَّ من فطيرتين اثنتين معا . . .

رتوتى « تلكزه لكزة قوية ، وهى تقول » : حسبُكَ ما أخذتَه . . . ان أُنيلَكَ لُقَيْمة ... فاذهبْ عنا بأسرارك السخيفة !

شونسو « لرونا » : الدين جوهرتُنا الثمينة التى يجب أن نَصُونَها من عبث العابثين ... شَدَّ ما كان يسوءنى أن يحاولَ « رميرى »

توجيهَ الدين هذه الوجهات المتطرِّفة .

رونا : لقد عرفتُ « رميرى » غَيُوراً على الدين ، حريصاً على أن يحفظَ له سلامتَه من شوائب البدع ونوازع الأهواء .

شونسو : ما أراد « رميرى » إلا قَلْباً للأوضاع ، فأثار بذلك ثائرةَ رجال الدين ، وأحفظَ عليه سَرَاةَ الأمة ، وكاد يُوقِظُ فى البلاد فتنةً عمياء ، لولا حكمةُ « فِرْعَون » ، وحُسْنُ سياسته ، إذ بعث به مع الجيش إلى مملكة « هورا » ليشغلَه بالقتال والنضال ، خارجَ أرضِ الوطن .

سحورع : وها هو ذا قد عادَ إلى الوطن أشدَّ عَضُدًا وأقوى شَوْكَةً مما ذهب . لم تنلْ منه الأيام ، ولم تُصِبْهُ الحادثاتُ بسوء !

رتوتى «وهى ترمى « سحورع » بنظرة نكراء ، ثم تواجه «شونسو» . » : ألا تُنيلُنى هذا السوطَ الذى فى يديك ؟ ...

تقول « لسحورع » :

خَيَّبَ اللهُ فَأْلَكَ ، وقطع لسانَكَ ، يا أخبثَ الأفزام ...

سحورع : لا تَتَمَنَّىْ قَطْعَ لسانى يا سيدتى ... إنه رأسُ مالى الذى أتكسَّب به فى هذه البلاد !

رونا « لشونسو » : أيروقُكَ هَذَيان هذا القَزَم الثَّرْثار ؟

شونسو « وهو يلسع « سحورع » بسوطه » : أما تنتهى عن هَذَرِك يا جَمُوحَ اللسان ؟

« سحورع » يتأوه .

رتوتى « لسحورع » : الآن اشتفتْ نفسى بما نالَكَ من لَسْعَة السوط !

رونا « لشونسو » : لقد عَنَّفْتَ به ، وإنى لا أُطيق أن أسمعَ هذه التأوُّهات .

سحورع « متمالكا متظاهراً بأن اللسعة قد ذهب عنه أثرها ، قائلا « لرونا » : لا تُلْقِى بالاً لآلام البشر ، إنكِ لو فعلتِ لم يفرُغْ لكِ همّ . وكفاكِ ما تَجِدين فى خاصَّةِ نفسك من مَكاره الحياة !

رونا : إن شعورى بألمى هو الذى يجعلنى أذوبُ إشفاقاً على المألومين ، فأنا لا أُطيقُ الهوانَ والإذلالَ لأحد .

سحورع : هَوِّنى عليكِ ياسيدتى ، فليس للناسِ مثلُ مالَكِ من شعور . . . إن الهوان والإذلال مَرْتَع خِصْب يترعرع فيه كثيرٌ من أجساد الناس . . . حسبُك بى مثلاً . فهذه الضربات التى يُصابِحُنِى بها السوط ويماسينى ما هى إلا غِذاء لجسمى وشفاء ... بينى و بين هذا السوط إخاء ووُدّ ،

بل قُولِي بيني و بينه غَرام وهُيَام !

« شونسو » يتضاحك فى كبرياء ، وهو يفرقع بسوطه .

شونسو « لرونا، ملاطفاً » : لا عليكِ من هُرَاء هـذا الثرثار . . . فلنستأنفْ حديثَنا .

رونا : أىّ حديث تقصِد ؟

شونسو « وهو يزداد بها تلطفاً » : أثَمَّةَ بيننا إلا حديثٌ واحد ؟ إنه حديث قلبى إليك ، طالمـا ناجيتُكِ به !

رونا : ليس هـذا الحديث بعازبٍ عنى . ولـكن ما ذا أنتَ طالبٌ إلىّ ؟

شونسو : أريد أن أعرفَ مَقْطَعَ الرأى فى أمرِ الخِطْبَة .

تنظر إليه متطلعة ، فيتابع قوله :

خِطْبَتِى . . . خِطْبَتِى إياك !

رونا « فى حزم » : ليس فى وُسْعِى أن أقْبَلَكَ خاطبًـا يا « شونسو » . . . أرجو أن تقدِّرَ موقفى .

شونسو « حانقاً » : إن موقفَكِ يثير دهشتى وعَجَبى !

سحورع : الحقّ أن موقفَ كل منكما جديرٌ بالدهشة والعَجَب ، وأنا بينكما حائر لا أعرفُ لى من قرار . . .

« شونسو » يلمح « سحورع » بسوطه لسعة حامية ، فيتفزع لها « سحورع » فيصيح فى عنف :

« رونا » لها عذرُها فى أن تَرُدَّ خِطْبَتَكَ إيَّاها !

شونسو « وقد رفع السوط فى وجه « سحورع » . » : ماذا تقول يا عبدَ السوء ؟

سحورع « وقد تخاذل ، يستدرك موقفه بالهزل » : لها عُذْرُها حقا ، فهى مشغولة بى ، إذْ أزمعتْ أن تَقْبَلَنى أنا خاطبا !

« شونسو » يفرقع بسوطه متنحيا عن « سحورع »

شونسو « لرونا » : مالك تُصِمِّينَ سمعَك عن نداء قلبى ؟ عجباً يا « رونا » ! أما زلتِ حافظةً عهدَه ؟ عهد ذلك الخَئُون الغدّار الذى أخلَى منكِ قلبَه ، وأولَى سواكِ هواه ؟

رونا « وهى غضبى » : كَفَى منكَ هذا الكلام . . .

شونسو : دَعينى أتكلم . . . دعينى أبصِّرْك بما تُوشكِينَ أن تتزلقى إليه من أخطار ، على يد ذلك القائد المغرور . . . لقد خدعكم جميعا ، وأنتِ أولُ المخدوعين به . ولكنى لم أيأسْ من أن يَثُوب إليك رشادُك ، وإنى فى ارتقاب ما ينتهى إليه رأيُك فى خِطْبَتِى إياك .

سحورع : وإنى كذلكِ ياسيدتى مرتقبٌ موقفَكِ من خِطْبَتى !

رتوتى « لشونسو » : لقد طال مكوثُك أيها القائد العظيم . ولعلك قد أخلفْتَ موعداً ، أو أبطأتَ عن عمل ، أو أضعتَ على نفسِكَ وقتاً أنتَ إليه أحوَجُ !

سحورع : أما أنا فموعدى وعملى ووقتى جميعاً أصبحَ الآنَ رهيناً بهذه المائدة الطيِّبة ، وما حَوَتْ من خيرات !

يسرع إلى المائدة ، فتلحق به « رتوتى » تصده عنها ، فيشتبكان . ويستطيع أن يختطف فطيرة يعدو بها هاربا إلى زاوية من البهو .

شونسو « لرونا » : فَكِّرِى مَلِيًّا . إنى صَبُور . . .

رونا : لقد فكرتُ وقدّرت ، ولا تبديلَ لما أَبْرَمْتُ . فعلامَ صبرُكَ ؟

شونسو « مقتربا منها ، هامساً فى اهتمام » : لا تنسَىْ أن اليومَ يومُ انتخاب عروس النيل ، ولا يدرى أحدٌ ما يخبّؤُهُ القدَر ، فقد لايخطئُكِ الانتخاب ، وليس لكِ فى غير خِطْبَتِى مَنْجاة ولا أَمَان . فإنى مستطيعٌ أن أجنِّبَكِ هذا الخطر ، حتى لاتكونى منه على خوف . ثِقِى أنى باذلٌ غايةَ جهدى فى إسعادك وحمايتك ، فأنتِ أملى المنشود !

رونا «فى صلابة وجفوة» : أَبْلَغْتُكَ رأيى ، فلا تطلبْ منى جديداً . . .

يقف «شونسو» أمامها برهة، وهو يقلب فيها بصره ، ثم ينحنى محييا إياها .

شونسو : التحيةُ «لرونا» الحسناء .

يبتسم ابتسامة غامضة ، ويتابع قوله :

الرجاء إلى الإله «آمون» أن يحفظَ «رونا» الحسناء من فَجَآتِ المستقبَل المجهول !

يخرج «شونسو» مفرقعا بسوطه ، يقفو أثره «سحورع» .

«رونا» تلقى بنفسها بين ذراعى «رتوتى» منخرطة فى البكاء .

رتوتى : كفكفى دمعَك يا بُنَيَّتى !

رونا : بل أعِينينى على أن أَبْكِىَ ، فقد أصبحتُ عاجزةً عن كل شىء ... إلَّا عَن البكاء !

تدخل «أنات» مهتاجة .

أنات «لرونا» : سيدى القائدُ «رميرى» فى طريقهِ إليكِ .

رونا «وقد بوغتت» : أحقًّا ؟ أحضر «رميرى» !

رتوتى : تَمَالَكِى بُنَيَّتِى ، فانظُرِى إلى نفسك . . . أصلِحِى من شأنك ، واعجَلِى إليه ، فَألقَيْه .

« رتوتى » تسارع إلى أدوات الزينة فتحضرها « لرونا » ، فتعنى « رونا » بوجهها وشعرها ، تتزين وتتعطر .

يقدم القائد « رميرى » ، فيبدو فى المستشرف .

رميرى « صائحا » : « رونا » !...

رونا « صائحة » : « رميرى » !...

يبسط ذراعيه لها ، فتهرع إليه مرتمية على صدره .

رتوتى : الحمد « لآمون » !

رميرى « محدقا فى « رونا » . » : مالى أَلْحَظُ فى عينيك أثرَ الدمع ؟

« رونا » تنظر إليه ، ثم تخفضها العبرات .

فيتساءل « رميرى » :

ماذا ؟ ماذا فى الأمر ؟

رتوتى : إنها فَرْحَةُ اللقاء ياسيدى ، وللفرحة دمع لابدَّ أن تسكُبَه العيون !

« رميرى » يرفع وجه « رونا » إليه ، ويتوسمه .

رميرى : أصِدْقا ؟ أمِنْ فَرْحَةٍ تبكين ؟

رونا « فى لهجة محزونة » : أليس الأمرُ كَذلكَ فيما تَرَى ؟

لا تكاد تتم جملتها حتى تشرق بالدمع .

رميرى « متعجباً » : فى الأمرِ شىء !

ينظر إلى « رتوتى » يستوضحها ، فتهز كتفيها .

رونا « وقد ملكت زمام نفسها » : أؤكِّدُ لكَ أنْ ليس فى الأمرِ شىء .

تقبل عليه ، وقد طبعت على فمها ابتسامة .

أخبرنى ، كيف حالُكَ ؟

رميرى : إنى بخير ... ولكن كيف تَرَيْنَنِى أنتِ ؟

رونا : يبدو لى أن الغُرْبة قد غَيَّرَتْ منك !

رميرى : أىّ تغيير لحقنى ؟

رتوتى « مستدركة » : نعم ، غَيَّرت الغربةُ من لونِكَ شيئاً ...

رميرى : لا مَخْلَصَ من ذلك لمن يقطع القِفَارَ تحتَ الشمس ، فإن وهَج الشمس لا يلبث أن يُكْسِبَ الوجهَ تلويحاً ، ويزيده سُمْرة ... أذلكِ ما لاحظْتِه يا « رونا » ؟

رونا : السُّمْرة أمرها هَيِّن ...

رميرى : هل لَحِقَنِى سوى ذلكِ من تغيير ؟

رتوتى « تحدق فيه ، مستدركة » : فى جَبِينِكَ نُدُوب !

رميرى « يتحسس جبينه » : حقًّا ... أثر من جُرْحِ طَعْنَةٍ لا شأن لها .

رونا : حقا إن الطعنات التى تصيبُ ظاهرَ الجسد ليس لهـا كبير شأن ... الخطر كلُّ الخطر فيما يُصيب القلوبَ من طَعنات !

رميرى : حَمْداً لله على أنى ذو قلب سليم ، لم تُصِبْه طعنةٌ ، ولم يَمْسَسْه قَرْح .

رونا : أَعَلَى ثقةٍ أنتَ بما تقول ؟

رميرى « يتضاحك قائلا » : فِيمَ سـؤالُكِ هـذا ؟ أأنا بقلبى غَيْرُ عَلِيم ؟

رونا : أما أنا فلا عِلْمَ لى بقلبك .

رميرى : لو كان فى مقدورى أن أكشِفَ لكِ عن قلبى تَرَيْنَـهُ لفعلتُ .

رونا : وَدِدْتُ أن أراه مجلوًّا أمام عينىّ .

رميرى : إذنْ لرأيْتِ فيه مِثالَكِ مَكِيناً لا يَبْرَحُه .

رونا : وَيْحِى من زُخْرُفِ الـكلام !

رميرى « وهو آخذ بيدها يرنو إليها » : وحَقِّ الإلٰهِ « آمونَ » إنكِ لَتَرْمِينَ إلى شىء !

رونا « وقد جذبت منه يدها ، ومضت خطوات » : تناهى إلى أسماعنا أن مملكةَ « هورا » مَعْرِض للغِيدِ الملاح اللاعباتِ بألباب الرجال ...

رميرى : و إن صَحَّ هذا فما شأنى به ؟

رونا « وهى فى خطوها غادية رائحة » : ألم تَرْجِعْ من مَعْرِضِ الغِيد الملاح بِغُنْمٍ ؟

رميرى « متضاحكا » : الآن فهمتُ ماذا أنتِ تقصدين ؟ يا للرِّجالِ من غيرة النساء ... إن لَكنَّ غيرةً تَتَشَمَّمُ النسمةَ العابرةَ وراءَ الأفق البعيد !

رونا : أىّ غيرة ؟ وأىّ أفق بعيد ؟ ألم تصحَبْكَ فى الموكِبِ أميرتُك الفاتنة التى جَلَبْتَها معك ؟

رميرى : وأىّ مأخَذ فى ذلك علىّ ؟

رتوتى : أكلّ هذا ... ولا تراه موضعَ مؤاخذة ؟

رونا : تختار ابنةَ ملك « هورا » فتصحَبُها على أعينِ الناس قادماً بها فى موكِبك ساعةَ عودتِكَ إلى الوطن .

رتوتى « متمة قول « رونا ». » : بل فَوْقَ هذا اعتزمتَ أن تتخذَها لك عروسا ... لا تحاولْ أن تُنْكِرَ ... أمرك شاع وذاع !

رميرى « صائحاً » : حَسْبُكما ... حسبكما ... إنكما تَخْلِطان .

رونا : وماذا فى أن تتزوجها ؟ هى ابنة ملك عظيم ، وأنتَ لك نَفْسٌ طَمُوح .

رميرى : ما كان يَدُور فى خَلَدِى أن تَشِيعَ بينكما هذه الأباطيل .

رتوتى : وهل يَسَعُك فى مأزِقِكَ هذا إلا أن تُنْكِر وتكابر ؟ . . لك عُذْرُك !

رميرى « صائحاً » : صَمْتاً يا « رتوتى » ... فلولا حُرْمَتُكِ عندى لما قَبِلْتُ من هَذَيانك هذا شيئا !

رونا : إذن أَوْضِحْ لى شأنَ زواجك بالأميرة .

رميرى : أىّ شأن ؟ كيف سولتْ لكِ نفسُكِ أن تصدِّقِى شائعاتِ السوء ؟ إنى مهما طَوَّفْتُ فى الآفاق يا « رونا » فقلبى موصولٌ بك ، لا يهفو إلى غيرِك ، وليس لى فى الحياة مَطْمَحٌ إلا أن أسْعَدَ بك زوجا .

رونا : وابنة ملك « هورا » ما خَطْبُها ؟

رميرى : إنها « لِفِرْعَوْنَ » خاصَّة .

رونا : « لفرعون » ؟ كيف ؟

رميرى : هذه سياسةٌ يتخذُها ملك « هورا » ، فهو يُهْدِى ابنتَه إلى

« فرعون » مصر » زوجاً له ، توثيقاً للسلام بين البلدين ، ووَصْلًا للوُدِّ بين المَلِكَيْن .

رتوتى : أيتزوجُ « فرعونُ » بنتَ ملك «هورا» ؟ أَخَلَتْ «مصرُ» شَمَالُها وجَنُوبُها من فتاةٍ تصلُح له زوجا ؟

رميرى : أَرِيحِى نفسَكِ يا « رتوتى » من مُعضِلاتٍ فى السياسة لا يَبْلُغُها فهمُك اللامع ...

رتوتى : أَحَسِبْتَنِي لا أعرِفُ من معضلات السياسة شيئاً ؟ لقد كان اللعينُ زوجى يستفتينى ويستشيرنى فى شئونِ السياسة دقيقِها وجليلِها .

رونا « لرميرى » : أحقًّا لا تُضْمِرُ للأميرة عاطفة ؟

رميرى : لا بدَّ أنَّ اسْمِى كان بينكم هَدَفاً لألوان من الأقاويل .

رونا : ما أكثرَ دُعَاةَ السوء ... شَدَّ ما نالوا منك !

رميرى : وهل صَدَّقْتِ ما أشاعوه عنى ؟

رونا : لا أكتمُ عنكَ أن مُحْبَتَكَ لهذه الأميرة ...

رتوتى « مكملة » : مُحْبَتُكَ لهذه الأميرة جعلتْنا نقول : غِبْنَا عن عَيْنِه ، فغبنا عن قلبه !

رميرى « لرونا » : ما كان ظَنِّى أن تستريبى بإخلاصى يوماً . . .
من الذى افترَى علىّ نَبَأَ علاقتى بالأميرة ؟

رتوتى : صديقك « شونسو » .

رميرى : صديق ؟ أيكونُ ذلك الجبان الهيَّاب لى صَدِيقاً ؟ إنه صديقُ الهزيمة والخذلان . . . ما أعجبَه قائداً لم يُكْتَبْ له التوفيقُ فى خُطَّة ، ولم يتحقَّقْ له الظفر فى موقعة !

يخطو فى الردهة خطوات ، ثم يقول :

« شونسو » . . . لم يَكْفِهِ أن كادَ لى فى حَوْمَةِ الوَغَى ، فأخذ يَكِيدُ لى فى رُبُوعِ الوطن . ولكنه سُيُخْفِق فى كَيْده هنا ، كما أخفقَ فى كيدِه هناك .

يلتفت إلى « رونا » قائلا :

إنكِ لا تعلَمين ماذا كان من أمرِ « شونسو » معى . . .

رونا : ومن أينَ لى أن أَعْلَمَ ؟

رميرى : لقد بَيَّتَ لى مَكِيدَةً أَوْشَكَتْ بَلِيَّتُها أن تَعُمَّ الجيشَ الذى أَتَأَمَّرُ عليه . . . الحمدُ للآلهة على ما لَطَفَتْ بنا فى هذه المحنة العَسْراء ، فلولا عَونُ الآلهة لكنَّا الآنَ طُعْمَةً للعَفَاء !

رونا : كيف كان ذلك ؟

رميرى «لرتوتى، منذرا إياها بسبابته» : إياكِ يا « رتوتى » أن تُفْشِى شيئاً مما أقول . . .

رتوتى : عَدِمْتُ شبابى إن أَفْشَيْتُ لك سِرًّا . إنى صائنةٌ كَتُوم .. لطالما خَصَّنِى اللعين زوجى بأسرارٍ خطيرة ، فكنتُ ألتهمها وأَهْضِمُها وأمسَحُ فمى ، كأنى لم أَذُقْ منها شيئاً...

رميرى « لرونا » : هذا القائد كان موكولاً إليه شأنُ الميرَة والذخيرة ، فكان من تدبيره الأثيم أن يَحْبِسَها عنى ، وأن يَدَعَها تَقَع فى يد العدوّ دونى ، وذلك إضراراً بى ، وإلقاءً بجيشى إلى التَّهْلُكَة .

رونا : يا للخيانةِ العُظْمَى !

رميرى : لقد عَضَّتْ المجاعةُ صفوفَ الجيش ، ولكن الجيشَ كان صَبُورا ، وما زلنا نُكابدُ الشَّظَف حتى تسنَّى لنا أن نتبيَّنَ الأمرَ ، ونَكْشِفَ الخدعة ، فاستنقذْنا جانباً من المُؤَن لم يكنْ قد سَقَطَ فى يد العدو !

رتوتى : « شونسو » كان السبب فى مجاعة الجيش ؟ يامن يُذِيلُنِى

الآن رقبتَه أَقْرُطُها ، ولا أدَعُ فيها جانباً صحيحا ؟!

رونا « لرتوتى » : حسناً ... حسنا . . . ولكن عليك أن تُعْنَىْ بإعداد ما أحضرَتْهُ « أنات » من السوق . . . فامْضِ لهذا . . .

رتوتى «وهى منصرفة ، تهرطم» : يا لنَارِ قلبى . . . يامن يُمْكِنُنِى منه ؟ ... يا من يُحَكِّمُنى فيه ؟ !

رونا « لرميرى » : وهل انتهَى إلى مسامعِ «فرعون» ما صنعَه « شونسو » بجيشك ؟

رميرى : لقد أعددتُ تقريرى فى شأنه معزَّزا بالأدلة والأسانيد وسأرفع التقريرَ إلى «فرعون» على الفور .

رونا « فى قلق » : تَمَهَّلْ قليلا .

رميرى : كيف أَتَمَهَّلُ ؟ لقد كنتُ أنتظرُ ساعةَ قدومى على أحرَّ من الجمر ، لكى أُعْلِنَ « لفرعون» هذا الأمر .

رونا : إنما أخشَى . . .

رميرى : تَخْشَيْن ؟ ماذا تَخْشَيْن ؟!

رونا : أخشى أن يتابعَ « شونسو » كيدَه لك .

رميرى « متضاحكا » : لن ينالَ منى ، فإنى مالكٌ أمرى .

رونا : إنه فى عُصْبَة من الأنصار والأتباع ، ولربما أَلَّبَهُمْ عليك ، فدسُّوا لك ، ومكروا بك .

رميرى : لن يجدُوا شيئاً يَنْسُجُون منه مَكيدة أو دسيسة .

رونا : لا يَعْدَم « شونسو » شيئا وإن كان باطلا ... فهو يُشِيعُ عنك أنك مَارِقٌ من الدين ، ثائر على التقاليد ...

رميرى : من سَلِمَتْ عقيدته ، وبرِئَتْ طَوِيَّتُه ، لم يتهيَّبْ قولَ ناعق ، ولم يعبأ بِفِرْيَةِ أَفَّاك .

رونا : لا تنسَ أن « شونسو » من بِطَانَةِ « مريابو » رئيس الكهنة ، ولستُ آمَنُ أن يُشَوِّهَ صورتَك عنده ، فَيُوغِرَ عليك صَدْرَه .

رميرى : حسبى « بفرعون » نصيراً .

رونا : حقاً إن « فرعون » يَشُدُّ أَزْرَكَ فيما أنتَ مضطلع به من إصلاح ...

رميرى : ما أوسعَ أُفقَ « فرعونَ » فى توجيه النهضة ، وما أحكمَ رأيَه فى تأييد الإصلاح . فهو أَرْغَبُ ما يكون فى تنقية الدين

من شوائب البِدَع والخُرافات ، وفى العمل على إسعاد الشعب ، وتوفير رفاهيته .

رونا « ناظرة إليه » : مازلتُ أُشفقُ عليكَ ، وأستحلفُك بكلِّ عزيزٍ عندكَ أن تَتَمَهَّل ، وأن تتبصَّر فى منازعة خصومك ، فإن للشرّ باعاً طويلا .

رميرى : إنى أعرف مكانى من قَلْبِكِ العَطُوف .

يقبل عليها فيحتضنها .

تتعالى أصوات تردد بعض الأناشيد .

« رونا » و « رميرى » يرهفان سمعيهما .

« رتوتى » تقدم مهتاجة .

رتوتى : هذه الجماهير تُنْشِد . . .

رونا : نعم . . . أناشيد انتخاب عروس النيل .

رميرى : هذه إحدى البِدَع التى يجب القضاء عليها فى غير هوادة . . . لن يَهْدَأَ لى بال حتى أجعلَ هذه البدعة نَسْياً مَنْسِيًّا .

رونا : أهذه بِدْعَة يا « رميرى » ؟ إن فيها لمعنًى جميلا من معانى الفِداء .

رتوتى : واحسْرتاه . . . أترضَى أن تَحِلَّ علينا نِقْمَةُ النيل ،

فَتُشْحِلَ الأرضُ ، ويَجِفَّ الضَّرْع ، ويَهْلِكَ الحرْث والنسل ؟

رميرى : ما للنيل ولهذه الفتاة التى يُلْقَى بها فى أمواجه ؟

رتوتى : إنها عروس له ينتظرُها كلَّ عام ، ليُفيضَ على البلاد الخيرَ والبركات .

رميرى : أحاسبةٌ أنتِ يا « رتوتى » أن النيلَ يبعثُ إليكم فيوض نِعَمِهِ لقاءَ فتاتِكم هذه ؟ إنكم تزُفُّونَ فتاتَكم طُعْمَةً للسمك !

رونا : مهما يكن من أمر فالنيلُ إلهٌ مقدس ، لا يُغْمَطُ فضله ، ولا يُجْحَدُ بِرُّه . وليس بمستنكرٍ علينا أن نَبْذُلَ أرواحَنا تمجيداً له ، وفناءً فيه .

رميرى : ما أشبهَ حديثَكِ بترانيم المناجاة ، وتسابيحِ الصلاة . وما أصفَى تسبيحةً تترنَّم بها شفتاك الحُلْوَتان !

رتوتى : لقد أبطأ فَيْضُ النيل هذا العام ، فتشقَّقَتْ الأرض ، وشاع المَوَات . وما ذلك إلا لأن عروسَ النيل لَمْ يُحْتَفَلْ بِزِفافها حتى اليوم .

رميرى : لستُ أدرى كيف عَدَلَ « فرعون » عن عَزْمِه إبطالَ تلك البِدْعة .

رونا : « فرعون » حَصِيفُ الرأى ، لا يخطُو خُطْوَةً إلا إذا فكر وقدَّر ، وإنه لا يَهُمُّ بإنفاذِ خُطَّة إلا إذا استبانَ له صلاحُها من كلِّ وجه .

رميرى « ناظراً إلى « رونا » مستفهاما بها » : دَعِينَا من هذا الحديث . فليَمضوا فى انتخابهم كما يشاءون ، ولنأخذْ نحنُ فى استمراء مُتْعَةِ اللقاء بعد طول مَغِيب !

رتوتى « مبهمة » : إذا كان الأمر كذلك ، فلا مَجَالَ لى . . . إنى ماضيةٌ عنكما ، فلتهنَأْ لكما الخَلْوة .

تنصرف فى تسكع ، وهى تنظر إليهما مرة بعد مرة .
« رميرى » و « رونا » يتواقفان موصولة أعينهما ، تتناجى نظراتهما ، فى صمت .

رميرى « آخذا بيد « رونا » فى نشوة » : طال اشتياقى إليكِ يا « رونا » . . .

رونا : أتُرَاهُ يَعْدِلُ اشتياقِى إليكَ ؟

رميرى : بل يَزِيد . . .

يقبل عليها ، محاولا تقبيلها ، فتتمنع عليه فى دلال ، وتسرع إلى المائدة ، فيتبعها قائلا :

هَلَّا أَنَلْتِنِى قُبلةً أُطْفِىءُ بها لَوْعتى ؟

رونا : سأنيلُك ما هو أطيبُ وأحْلَى .

تختار له بعض الفطائر والحلويات ، وتقدمها له قائلة :

ذُقْ هذه ، وأنا كفيلةٌ بأن تطفىء لوعتك .

رميرى : « وهو يتناول ما قدمته « رونا » . » : لا تطفىء لَوْعتى إلا نَهْلةٌ من ثغرك العَذْب !

رونا : يدى صنعتْ لك هـذه الفطائرَ والحَلْوَيَات ، فاطعَمْها هنيئاً مريئاً !

رميرى « وهو يقضم لقيمات منها » : ما طَعِمْتُ ألذَّ منها مَذَاقا .

رونا : أحقًّا راقَتْك ، أم تُطْرِيها مجاملة ومحاباة ؟

رميرى : تَعْلمين أنى صَرِيح . . .

ينظر إلى المائدة ، فتهوله كثرة ألوانها ، فيقول :

ولـكن ما هذا كلُّه ؟ أكنتِ تَحْسَبِين أنى سأَقْدَمُ بجيشى ضيفاً على مائدتك ؟ !

رونا : لقد أمضَيْتَ يا « رميرى » أشهراً فى مَطارِحِ الغربة ، تُعانِى الشَّظَف والحِرْمان ، فاعرِفْ لبدنِكَ حَقَّه ، واطعَمْ ما وَسِعَكَ أن تَطْعَمَ .

تقرب منه صحفة التين قائلة :

إليكَ فاكهتَكَ المفضَّلة . . . التين . . . أردتُ أن يجتمعَ لك على هذه المائدةِ كلُّ ما أنتَ إليه شَيِّق .

رميرى « يتناول من التين » : ما أيْنَعَه ! . . . وما أجودَ اختيارَكِ له ! . . . حقًّا جمعتِ كلَّ ما أشتَهِى ، إلا شيئاً واحداً ضَنَنْتِ به عَلَىَّ ، هو عندى خيرٌ من كل شىء !

يتدانى منها ، محيطا إياها بذراعيه .

يهم بتقبيلها ، فتستجيب له .

رونا : إن ما أَضَنُّ به هو لكَ وحدَكَ مَصُون !

لا يكاد يقارب شفتيها حتى يسقط على المائدة سهم ، فتذعر « رونا » ، ويميل « رميرى » ليلتقط السهم .

رميرى : ماذا ؟ سهم . . . سهم يَحْمِل رسالة !

يبسط ورقة البردى المعلقة بالسهم ، ويقرأ :

« لَكِ البُشْرَى يا « رونا » بانتخابِكِ للنيل عَرُوساً هذا العامَ » .

يدهش « رميرى » ويقول :

أىُّ هُرَاءٍ هـذا ؟

رونا « وقد بوغتت » : ماذا ؟ أنا عروسُ النيل ؟ يا إلٰهى !

تركع فى خضوع ، وتقول مبتهلة :

« آمون » ... أيُّها الإلٰهُ الأعظم ، كلُّنا عبيدُك المخلصون لِمَشِيئَتِكَ الطَّوْع ، ولِإرادَتِكَ الإذعانُ والتقديس !

رميرى « مهتاجاً » : « رونا » عروس النيل ؟ أوهام زائفة . . . هيهاتَ أن يكونَ ذلك هيهات !

يعلو نشيد عروس النيل ، إذ يردده الجماهير فى حماس وابتهاج .

« رونا » فى ركوعها ذاهلة .

« رميرى » يخطو فى الردهة مضطرب الغـدوات والروحات .

أصوات الأناشيد تتدانى .

الجماهير تهل على الدار ، حاملة سعف النخيل ، فى هرج ومرج ، رافعة أصواتها بالتهنئة « لرونا » عروس النيل .

« رميرى » مهتاج النفس ، ثائر الأعصاب ، يجأر بالإنكار ، قائلا :

ما هذه السَّخَافات ؟ كُفُّوا عن هذا العَبَثِ البغيض . . .

لن تكونَ « رونا » فَرِيسَةً للأباطيل . . . وحَقِّ « آمونَ » لا أُسْلِمُها أبداً !

تذهب صيحات « رميرى » فى ضوضاء الأناشيد وجلبة الجماهير .

« رونا » ما برحت راكعة تبتهل . . .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني

يهو في قصر « فرعون » .

مناضد على إحداها صنج لاستدعاء الأتباع ، وعلى سائرها قراطيس من أوراق البردى مطوية ومبسوطة .

يرى « فرعون » وهو يخطو مهتما .

« رميرى » في أحد أركان البهو ماثل ، قد عقد إحدى يديه بالأخرى .

رميرى : عَلَامَ استقرَّ عَزْمُ مولاىَ فى شأنِ عَرُوس النيل ؟

فرعون : بَرْنَامَجُ الِاحتفالِ على حاله ، لم أُصْدِرْ فيه أمراً بتبديل .

رميرى : و « رونا » يا مولاى ؟ « رونا » ؟ !

فرعون : انْتُخِبَتْ للنيل عَرُوسا .

رميرى : أَتُلْقِي بها إلى التَّهْلُكَةِ من أجل أُبْطُولَةٍ شائعة ؟

فرعون : أَرْعِنِي سَمْعَكَ يا « رميرى » . . . ما تُسَمِّيه أنتَ أُبطولةً شائعة ، ليس إلا عقيدةً حَلَّتْ من قلوب الناس مَحَلَّ الشَّغاف . فهم يَحْسَبُونَها من لُباب الدين ، وعسير علينا أن

نستأصلَ عقيدةً راسخةً بين عَشِيَّةٍ وضُحاها . . . الشعبُ اليومَ يريد أن يقدِّمَ للنيل فِدْيَةَ العام، وما أنتَ بقادرٍ على أن تردَّ الشعبَ عن إنفاذ ما يريد !

رميرى : عَزْمَةٌ من عزماتك المواضى يامولاى تمسح عن عقول الناس صَدَأَ هذه التُّرَّهاتِ التى صاغها الزمن .

فرعون : هـذا الصَّدَأُ لا أستطيع أن أَمْحُوَه بكلمة ، ولا أن أزيلَه بأمر . . . الزمن هو الذى صاغه على هِينَةٍ وَمَهَل ، والزمن هو الذى يمحوه فى غير طَفْرَةٍ ولا عَجَل . . . كان الزمن هو الداءَ ، وسيكونُ هو الدواءَ !

رميرى : إذا اتَّكَلْنَا على الزمن طال علينا الأَمَد ، وترامَى عنا فَجْرُ الإصلاح ، على حين تَزْهَقُ الأرواح باطلًا من أجل جهالة فاشِيَة .

فرعون : أنت تريدُ الإصلاح دَفْعَةً ، وتبغى التجديدَ فَجْأَة . ولو فعلتَ لَزَهَقَ من الأرواح أضعافُ ما يَزْهَقُ الآن . إنك تَشُبُّها ثورة ، والثورة نار تأكل الأخضرَ واليابس ، وتُصيبُ بشُواظِها من لم يكن من جُنَاتِها .

رميرى : ثورة . . . ولماذا لا تكون ثورة ؟ كلُّ شىء يهون إلا أن

تذهبَ « رونا » فريسةً لعقيدة فاسدة !

فرعون « يربت كتفه ملاطفاً وهو يقول » : كُنْ ساكنَ الطائر أيها المحبُّ الوالهُ ، وامْلِكْ زِمامَ عاطفتك ... أردتُ أن أُجادلكَ بمنطق العقل ، فأَبَيْتَ إلا أن تُساجِلَني بِوَحْيِ القلب ... ولن تقومَ دِعامةُ الدولة أو يستقرَّ نظامُ المُلْك على أساس من نَجْوَى العواطفِ وأهواء القلوب !

رميرى : مهما يكنْ من أمرٍ يا مولاى فما يسوغُ لنا أن نُسْلِمَ « رونا » ونحن صاغرون !

فرعون : سأفكِّر فى هذا الأمر ... إن « رونا » أختى فى الرَّضاع قبل أن تكون لك مخطوبة . فإن كانتْ عزيزةً عندك ، فما إخالُها عِندِى إلا أَعَزّ !

يصمت هنيهة ، ثم يضرب الأرض بمخصرته ، قائلا :

ثَمَّةَ مُشْكلة خطيرة يجبُ أن نَفْرُغَ لها ، أَقْصِدُ خيانةَ « شونسو » ... ما كان يَدُور فى خَلَدِى أن يجترئَ هذا القائد على أن يُعَرِّضَ الجيش للدمار .

رميرى : قَدَّمْتُ بين يدىْ مولاى ما لدىَّ من أسانيدَ تثبت جَرِيرتَه ولمولاى الرأى الموفَّق .

فرعون : ما جَرَّبْتُ عليكَ كذباً يا « رميرى » ، وإنى أَثِقُ بإخلاصك للعرش ، وأمانتِك فى خدمة الدولة .

يضرب الصنج ، فيقدم « تحوتى » كبير الأحراس ، فيقول له « فرعون » :

ألم تَبْعَثْ فى طلب « مريابو » رئيسِ الكهنة ؟

تحوتى : أَنْفَذْنا أمرَك يا مولاى .

فرعون : إذا قَدِمَ فأدخلوه مَجْلِسى على الفور .

ينحنى « تحوتى » أمارة الإذعان ، ثم ينصرف .

« فرعون » يقول « لرميرى » :

والأميرةُ « نجاو » بنتُ ملك « هورا » ؟

رميرى : علام عَوَّلَ مولاى فى شأنها ؟

فرعون : الرأىُ عندى أن نَرُدَّها موفورةَ الصَّوْن ، مشكوراً أبوها على ما قَصَد من حُسْن معاملة ، ولُطْفِ مجاملة .

رميرى : إن لملك « هورا » غَرَضاً بعيداً ، فقد أراد برباط المصاهرة بين العرشين أن يَدْعَمَ الصداقةَ بين البلدين .

فرعون : سنُعِينُ ملك « هورا » على تحقيق غرضه فى توثيق أواصر الودِّ بيننا و بينه ، ولكن بوسيلةٍ غير هذه الوسيلة !

رميرى : وَلِمَ يَأْبَى مولاى وسيلةَ المصاهرة ، وهى من أوثق العُرَى فى الوَصْلِ بين البلاد ، والمؤاخاةِ بين الشعوب ؟

فرعون : إنى لا آمَنُ مَغَبَّةَ هذا الإصْهار . وليس من حصافة الرأى ولا من حكمة التدبير أن نَدَعَ دَفَّةَ الحكم تتأثر بتيَّاراتٍ خارجية تضطرب لها سياسةُ الدولة .

رميرى : لعل مَلِكَ « هورا » أراد أن يغالبَنا بسلاح النساء ، بعد أن أخفَق فى مغالبتنا بسلاح الرجال !

يتضاحك « فرعون » .

يقدم « تحوتى » .

تحوتى « لفرعون » : رئيسُ الكَهَنة فى الطريق إلى مولاى .

فرعون « قائلا « لرميرى » . » : لا تَنْسَ التزامَ الهدوء ، ولا تقصِّرْ فى توقير الكاهنِ الأكبر .

رميرى : السمعُ والطاعةُ لمولاى .

فرعون « قائلا على « رميرى » . » : لقد استرضَيْتُه عنك ، وطمأنتُ نفسَه إليك ، وأعْلَمْتُه بأنك الآن معتدلُ الرأى ، موفورُ الهداية ، ليس بك من جُمُوح .

يقدم « مريابو » رئيس الكهنة .

مريابو : سلامٌ على سَلِيلِ الملوك الكابرين ، وابنِ الآلهة الأعظمين. سلامٌ على « فِرْعَوْن » !

فرعون : التحيةُ لِمَهْبِط الوحى ، وَمُسْتَوْدَع الأقداس ، ومَلَاذِ الخير والبركات . التحيةُ للكاهنِ الأكبر.

مريابو « ملتفتاً إلى « رميرى ».» : أهلًا بالقائد المظفَّر .

رميرى « منحنياً أمام رئيس الكهنة » : شُكْراً لسيدى « مريابو». إنما ظَفَرى بفضل دعائك المستجاب .

مريابو : لَطَالَمَا دعوتُ لك بالظَّفَر ، كما دعوتُ لك بالهداية ... وإن اغتباطى بنصرك لا يقلُّ عن اغتباطى بانضوائك تحتَ لواء الدين فى الطريق المستقيم !

فرعون : لا شكَّ أن « رميرى » قد اكتسب خِبرة وتجربة ، وقد أصبح الآن هادئَ الطبع ، رزينَ النفس ، ركينَ الإيمان .

مريابو : إلى هذه المزايا يَرْجِعُ فَضْلُ انتصاره على العدو ، وعودتِه إلى الوطن ، مرفوعَ اللواء ... فما رَضِيَتْ الآلهةُ عن أحدٍ إلا حَفَّتْه بنصر مُبين !

فرعون : حقًّا كان نصراً مؤزَّرا ، ولكنه كَلَّفنا ثمناً فادحا !

مريابو : عظائمُ الأمور تقتضِى غوالىَ الأثمان... ولئن خسِرتم كثيراً لقد كسَبتم ما هو أكثر .

رميرى : كان سهلًا أن نتلافَى ما خَسِرْناه .

مريابو : كيف ؟ وماذا منعكم من التَّلافِى ؟

فرعون : خيانة اقترفَها من كان موضعَ ثقتى .

مريابو : ومن ذلكَ طريدُ الآلهة ؟

فرعون « مشيراً إلى قراطيس المنضدة » : تلكَ هى صحائفُ الِاتهام ، ووثائق الِاحترام .

مريابو : يأذَنُ لى « فِرْعَوْنُ » فى أن أتصفَّحها ؟

فرعون : نعم ، إنها مبذولة لك ، وإنى لأريد أن تشاركَنى الرأىَ والتدبيرَ فى هذا الأمر الجلَل .

« مريابو » يتصفح القراطيس .
تبدو عليه دهشة ، ويعبس وجهه .

مريابو : « شونسو » ؟ . . . « شونسو » ؟ . . . أهو الذى يقترف هذه الخيانة ؟ أكاد أكذِّب عينىَّ فيما تريان !

رميرى : بين يديك الدلائل واضحة ، والبراهينُ ساطعة .

مريابو : أخشَى أن تكون هذه الدلائلُ والبراهينُ من صَوْغ

المكايد والأحقاد ، وإن للباطل بريقاً قد يَخْطَفُ الأبصار !

يوجه الكلام إلى « فرعون » :

لاريبَ أن الأمر يستلزم أناةً وروِيَّة ، ويتطلب استبطاناً للحقيقة ، واستيعاباً لها من جميع الجوانب .

رميرى « فى حدة ظاهرة » : ثِقْ ياسيدى « مريابو » أن الأمر لا مَكَايِدَ فيه ولا أحقاد ، وإنما هى خيانةٌ لاريبَ فيها .. خيانة دَبَّرَها « شونسو » ، براهينها أمام عينيك لا تَرْقَى إليها المكابرة والنزاع .

مريابو « قائلا « لرميرى » فى تخابث » : يبدو لى أن السيدَ «رميرى» ما زالت تعاوده حِدَّته وجفوته . . . حقاً إن الطبعَ قاهر غَلَّاب !

فرعون « لرميرى » : أريد خَلْوَةً بالكاهن الأعظم .

ينحنى «رميرى» أمام «فرعون» ، فيومئ له بالانصراف ، وكذلك ينحنى « رميرى » أمام « مريابو » فيرد له التحية رافعاً يده .

يتأهب « رميرى » للخروج ، ولكنه قبل أن يمضى يتجه إلى « فرعون » ، قائلا له :

رميرى : أيأذَن لى مولاى فى أن يَصْحَبَنِى « نفـرع » لبعض الشأن ؟

فرعون : « نفرع » خادمى ؟ وَفِيمَ ؟

رميرى : إذا أَذِن لى مولاى أوضحتُ له الأمرَ من بَعْدُ .

« فرعون » يشير إليه إشارة الموافقة .

ينحنى « رميرى » « لفرعون » و « لمريابو » وهو يخطو إلى الباب .

فرعون « لرئيس الكهنة » : عرفتَ ما كان من أمر « شونسو » . . فَبِمَ أنتَ مُشيرٌ علىَّ ؟

مريابو : هو مُتَّهَم بالخيانة ، وإنها لوَصْمة فاضحة ، فمن الحَتْمِ أن يكون الأمرُ موضعَ عناية وتدقيق ، حتى لا نُصيبَ أحداً بما هو منه برىء .

فرعون : ذلك ما كان فى نفسى ، ومن ثَمَّ أزمعتُ أن أَكِلَ الأمرَ إلى هيئةٍ عُلْيا من قُضاة المملكة .

مريابو : الناسُ جميعاً يا « فِرْعَوْن » يَعْلَمون صلةَ « شونسو » بى . إنه من رجالى الْخُلَّص ، وأصفيائى المُقَرَّبين . فليس من الكِياسة أن يُلْقَى بأمرِه مُتَّهَما بين أيدى القضاة ، فأكونَ معه مُضْغَةَ الأفواه !

فرعون « متلاعبا بغضبته » : إلى من نَكِلُ أمرَه إذن ، يُمَحِّص تُهمتَه ، ويَقْضِي فيها قضاءه ؟

مريابو : إن شئتَ يا « فِرْعون » وَكَلْتَ أمرَه إليّ ، وسأعقِد له من قضاة الكَهَنة مجلسا يحاكمه .

فرعون : ولكن تُهمة « شونسو » تهمة دنيوية ، فكيف نرافعُه في شأنها إلى قضاةِ الدين ؟

مريابو : في علمك يا « فِرْعون » أن رجالاتِ المَعْبَد وثِقاتِه إنما تَخْتَصُّ بالفصل في قضاياهم محكمةُ الكَهَنة ، وهذه مزايا واختصاصات توارَثْناها منذُ الزمن الأقدم ... فهل تريد لِسُنَّتِنا تبديلا ؟

فرعون : حاشاي أن أُفتاتَ على مَزِيَّة لكم أو اختصاص . ولكن « شونسو » ليس برجل دين ، ولا بكاهن مَعْبَد ، وإنما هو قائد من قادة جيشي ، ومن حَقِّي أن أَكِلَ مُحاكمتَه إلى قضاة الدولة .

مريابو « بعد فترة صمت ، وهو قابض على ذقنه ، يرفع رأسه قائلا » :

ما زلتُ أعتقدُ أن من حقّ الاضطلاعَ بموضوع « شونسو » ، والانفرادَ بالفصل في أمره ، ولكن حَسْبُنا

اليومَ هذا الحديث ، فلنرجىء الأمرَ إلى فرصة آتية ، وفى الوقت فُسْحة !

فرعون : ليس فى الإرجاء خير ، فَلْنَحْسِم الرأىَ الآن .

مريابو : نحن يا « فِرْعَوْن » نستقبل أياماً كريمة نحتفل فيها بعروس النيل ، والشعبُ مبتهِج طَرُوب ، ولا سيَّما أن عروس هذا العام شخص كريم يَنْتَمِى إليك ... وليس بلائقٍ أن نَشُوبَ صَفْوَ هذا العيد السعيد !

فرعون « مفكراً » : عروس النيل ؟ . . . أُلْقِ بالَك لما أقول يا « مريابو » . . . إن كنتَ ترى أن حمايةَ « شونسو » حَقٌّ لك ، لمكانه منك ، وصلته بك ، فإنك تعلَمُ مكانَ « رونا » منى ، وحقَّها علىّ . فهى أختُ رَضَاع ، وحمايتى إيّاها فَرْض محتوم !

مريابو : لاأجحَد يا « فِرْعَوْنُ » حقَّ « رونا » عليك ، ولا أنكر أُخوَّتَها لك . ولكنها منذ انْتُخِبَتْ عروسا للنيل لم تَعُدْ فى كَنَفِك ، فقد خرجتْ من حمايتك ، وأصبحتْ حَقًّا للآلهة فى ذمة الشعب ...

فرعون « مبتسما فى تغيظ وسخرية » : ما أبدعَ منطقَك ، وما

أروعَ حجّتَك ! . . . إنك فيما أبديتَ من رأيٍ تثير عليَّ كلَّ شيء ... إنك لتؤلّبُ عليَّ الآلهةَ والشعبَ جميعاً !

مريابو : صارحتُك بالحق .

فرعون : مهما يكن من أمر ، فإني عاقدٌ عزمي على أن أُحمِيَ « رونا » .

مريابو : أكذلك ؟ أضرَع إلى الآلهة أن تَلْطُفَ بنا فيما عساه يَجْرِي من أحداث !

فرعون : لا يَقْلَقْ بالُك . فلن يحدُثَ شيء يسوء !

مريابو : أرى أن مهمتي قد انتهتْ الآن ، وحان لي أن أنصرف .

فرعون : إذا شئتَ ...

« مريابو » يحيي « فرعون » وهو متأهب للانصراف . فيرد « فرعون » تحيته ، وما إن يخطـــو « مريابو » حتى يلتفت إلى « فرعون » .

مريابو : هذا حديثٌ دار بيننا وَحْدَنا يا « فِرْعَوْنُ » .

فرعون : لا يجرى حديث بين « فِرْعَوْنَ » و « مريابو » إلا وهو سِرٌّ مَصُون .

يواصل « مريابو » سيره خارجا من الباب .

« فرعون » يقبل على المنضدة يتفحص قراطيسها ، ثم يمشي في النهو .

« رونا » تقدم تحية « فرعون » .

فرعون : « لرونا » : مرحباً « برونا » . . . مَرْحَباً بالأخت العزيزة !

يدنو منها لأنه جبينها .

رونا : قَدِمْتُ عليكَ يا مولاى أَنْعَمُ بنظرةٍ منك ، وجلسة إليك ، قبل أن أُوَدِّعَك ، ماضيةً إلى مصيرى الأخير .

فرعون : غَداً موعدُ الاحتفال ، فالبَثِي يومَكِ معى ، واقْضِى ليلتَكِ فى القصر .

رونا : ما كان أحبَّ ذلك إلىَّ ، ولكنى يا مولاى أستأذنُك فى الانصراف قُبَيْلَ مَغْرِب الشمس .

فرعون : ولِمَ هذا التعجُّل ؟

رونا : أريد أن أودِّعَ دنياى . . . أودِّع صويحباتى اللواتى قاسَمْنَنِي ذِكْرَيَاتِ الصِّبا وملاعبَ الشباب . . . أودِّع دارى التى كانتْ لى منذُ النشأة مَأْلَفَ إيناس . . . علىَّ أن أُغنَى بثيابى أرتِّبها فى أصْوِنَتِها . . . علىّ أن أُعْنَى بالرياحين أنسِّقها فى زَهْرِيَّاتِها . . . علىَّ أن أُعْنَى بمتاعى كلِّه أنضِّده أجملَ تنضيد !

obeikandl.com

فرعون « فى حنان » : « رونا » . . . « رونا » . . .

رونا : سأُعِدُّ كل شىء على أحسن حال ، حتى إذا آبَتْ رُوحى من العالم الآخر تطلب زَوْرَةً لهذه الدنيا ، نَعِمَتْ بما كانت تألَفُه فى دنياها من قبلُ .

فرعون : حاطَتْكِ عنايةُ الآلهة يا « رونا » ، وشَمِلَكِ عطفُها السابغ .

رونا « فى ابتهال » : الشكر للآلهة على ما حَبَتْنِى به من مِنَّة ، وما أَوْلَتْنِى من إيثار .

تنحنى « رونا » أمام « فرعون » ، وتهم بالانصراف .

فرعون : إنى لاحقٌ بكِ بعدَ قليل .

تمضى « رونا » على حين يتبعها « فرعون » بنظراته .

« رميرى » يقدم مهتاجا من باب آخر .

رميرى : مولاى . . . غِشٌّ حَدَثَ فى انتخاب عروس النيل !

فرعون : غِشّ ؟ كيف ؟

رميرى : والذى اقترفه هو « شونسو » نفسُه . . . لقد راجعَتْه حُمَّى الخيانة ، فما زال ببعض الكهنة يخادعهم حتى تَسَنَّى له أن يُدَلِّسَ فى وثائق الانتخاب .

فرعون : وما موقفُ رئيس الكهنة من هذا الغشّ ؟

رميرى : لم يكن « لمريابو » عِلْم به .

فرعون : وما برهانُك على أن الِانتخابَ غيرُ صحيح ؟

رميرى : عندى شواهدُ وقرائن لا يقوم معها أىّ ارتياب .

فرعون : من أين استقَيْتَ هذا كله ؟

رميرى : تذكَّر يا مولاى أنى فى مُنْصَرَفِى من لَدُنْكَ ، صَحِبْتُ التابعَ « نفرع » . . .

فرعون : لقد أذِنتُ لكَ فى اصطحابه .

رميرى : كان « نفرع » على بَيِّنَةٍ من الأمر ، يستمدُّ الأنباء من صَفِىٍّ له يلوذُ « بشونسو » ، وقد عَرَضَ نفسَه لِيُدْلِىَ بما عندَه فى حضرتك السامية .

فرعون : عَلَىَّ به .

يخرج « رميرى » ثم لايلبث أن يرجع وبجانبه « سحورع » .

سحورع « راكعاً بين يدى « فرعون » . » : المجدُ « لِفِرْعَوْنَ » الأعلى ! أنا عبدك « سحورع » ، كنتُ ساعدَ « شونسو » الأيمنَ وصاحبَ سره الأمين . وقد طالما ضاق صدرى بما يقارف من نَزَوات وآثام ، ولم أدَّخِرْ وُسْعاً فى تحذيره وتبصيره ،

فما ازدجر ولا ارتدع . وقد جئتُ الآن معفِّراً وجهى بتراب رجليك ، مقبِّلاً الأرضَ بين يديك ، مُقِرًّا بذنوبٍ اشتركتُ فيهـا بِرَغْمِى ، مستغفراً إليكَ من ماضٍ تُثْقِلُه الأوزار ، طالباً منكَ الصفحَ والأمان .

يزحف نحو « فرعون » فى ضراعة وخضوع .

« فرعون » يشير إليه أن ينهض ، فيفعل .

فرعون : ماذا تريد أن تُفْضِىَ به من قول ؟

سحورع : أريد أن أقولَ كثيراً ... فالجرائم شتَّى ، والأسرار طبقاتٌ بعضُها فوق بعض . . . خيانة « شونسو » الخاصَّة بالميرة والذَّخيرة . . . قَبولُهُ للرِّشْوة من أعداء الوطن ... كَيْدُه للقُوَّاد الأَكْفاء ...

فرعون « مقاطعاً » : دَعْنَا مِن هذا كلِّه الآن ، وأخبرْنى ماذا عندك فى شأن انتخاب عروس النيل ؟

سحورع : أىّ انتخاب يامولاى ؟ إنهـا دَسِيسَةٌ دَبَّرَها « شونسو » وبِطانتُه . . . إنه زُور وبهتان !

فرعون : ماذا وراءك من برهان ؟

سحورع : خمسة من الكهنة فَطَنُوا إلى ما كان من خديعة تَمَّ بها التزويرُ فى الانتخاب ، وهؤلاء الخمسة يَقْبَلُونَ اليومَ أن يكشِفوا الستار عن هذه الخديعة وعن مجرميها أمام العيون .

فرعون («لرميرى» ، مشيراً إلى « سحورع ») : اِعْرِفْ منه أسماءَ الخَمْسَةِ الكُهَّان ، حتى يحينَ استدعاؤهم .

سحورع (مشيراً إلى «فرعون») : لى ملتمَسٌ عند مولاى ... ملتمَسٌ واحد لا أعدِلُ به شيئاً .

فرعون : أىّ ملتمَسٍ لك ؟

سحورع : إذا وَضَحَ لمولاى صدقُ قولى ، عَجَّلَ مكافأتى .

فرعون : نحن لا نُغْفِلُ مكافأةَ المُحْسِن ، ولا نُهْمِلُ معاقبةَ المسىء .

سحورع : إن مكافأتى يا مولاى هى أن تحقِّق لى رغبةً خاصَّة ، فلا مالًا أطلب ، ولا غُنْماً أريد .

فرعون : إذن فيم تَرْغَب ؟

سحورع « متغيظاً ، تصر أسنانه » : أرغب فى أن تمكِّننى من سَوْط « شونسو » أَشْرَعُه فى وجهه ، وأُذِيقُه لسعاته ، فَأَشفى غليلى ، وأُثْلِجُ صدرى .

« فرعون » يبادل « رميرى » نظرات فى تضاحك .

« تحوتى » يقبل عجلان مهتما .

تحوتى « لفرعون » : رئيس الكهنة يا مولاى يطلبُ لقاءك .

فرعون : فَلْيَتَقَدَّم .

يدخل « مريابو » عبوساً جهم القسمات ، يعالج أن يتمالك .

يتلفت حوله فيرى « رميرى » و « سحورع » فيحدجهما بعينيه فى اشمئزاز .

مريابو : أريد خَلْوَةً يا « فِرْعَوْنُ » .

فرعون (لتحوتى » ، مشيراً إلى « سحورع ») : لِيَبْقَ هذا فى حراستك ، لا يلقاه أحد .

« تحوتى » ينصرف ، ممسكا « بسحورع » .

« فرعون » يشير إلى « رميرى » أن ينصرف ؛ فيفعل .

فرعون « لمريابو » : إنى مُصغٍ إليك .

مريابو : النبأ الذى عندى سَبَقَنِي به إليك سابق .

فرعون : تقصِد حادثةَ الغشّ فى انتخاب عروس النيل ؟

مريابو : ما كدتُ أخرج من قصرك حتى تطايرتْ إلىَّ الشائعات ، فَعَجِلْتُ إلى المَعْبَدِ لأتبيَّنَ الأمر ، فلم أجدْ دليلا يقطع بحادث التدليس فى الانتخاب .

فرعون : أمَا عَلِمْتَ أن خمسةً من الكهَّان تَحَقَّق لهم تدبيرُ التزوير ، وأنهم على أُهْبَة الإدلاء بالشهادة ؟

مريابو : لن تَجِدَ من الكهنة واحداً يشهَدُ لهذه الأراجيف ، وإنى رئيسُهم ، عنهم أتكلَّم ، وباسمهم أُفْضِى إليكَ بما تريد من أقوال .

فرعون : أما بلغَ سَمْعَك اسمُ « شونسو » وراءَ هذا الحادث ؟

مريابو : « فِرْعَوْنُ » لا يَعزُب عنه أن كلَّ امرئ ذى مكانة وخَطَر لا يَسْلَمُ من بطانة سوء ، فهو أبداً مَحُوط بنفوس طُبِعَتْ على لؤم ، تَحُوكُ له الدسائس ، وتَنْصِبُ له فِخَاخَ المكايد ، طلباً للغُنْم الحرام .

فرعون : هل قَدَّر الرئيس « مريابو » أن هذه الشائعات سوف تَصْدَع رءوسَ الشعب ، فتسوء الظنون بالانتخاب ، ولا يبقَى له قُدْسُه المعهود ؟

مريابو : كلمتى هى الفَيْصَلُ عند الشعب ، وهى البرهان الذى ينكسف دونَه كلُّ بَرِيق .

فرعون : ولكنك لا تستطيع أن تقولَ للناس إن « شونسو » برىء ، على حين أنه مجرم أثيم!

مريابو : إنى أرمى دائماً إلى الخير العامّ ، وأرْعى المصلحة الكبرى ، والآلهةُ تهْدِينى أبداً إلى الطريق القويم .

« فرعون » يحدق فى رئيس الكهنة .

يصمتان هنيهة .

« مريابو » يستأنف قوله لين اللهجة :

لقد وَكَلَتْ الآلهةُ إليكَ وإلىَّ يا « فِرْعَوْنُ » أن نتوخَّى مصلحةَ الأمة ، وأن نَسْهَرَ على خير البلاد . وفى سبيل هذا الخير وتلك المصلحة يجب علينا أن نتجاوزَ عن كثير ، وأن نُغْمِضَ على كثير .

فرعون : أليس مما يناقض خيرَ الأمة ويجانبُ مصلحةَ البلاد أن نتركَ « شونسو » مُطْلَقَ السَّرَاح ، لا تناله يَدُ القِصاص ، وهو الذى عَرَّضَ جيشنا للهلاك والدَّمار ، بما سَوَّلَتْ له نفسُه من خيانة شَنْعاء ؟ !

مريابو : وهل يستبين « فرعون » بشأن عروس النيل ، وما لها من أثرٍ فى رَفَاهِيَةِ البلاد جمعاء ، وسعادة الشعب كله ؟ أمِنَ الخير والمصلحة أن نُبْتَلَى بسَنَة عجفاء نُعانى فيها القَحْط والجَدْب ، من أجل الإبقاء على « رونا » وحدَها ؟ يا لَلْآلهةِ من ذلك العِصيان وهذا الجُحُود !

« فرعون » يقف أمام « مريابو » عاقداً يديه على صدره ، وهو يرنو إليه مليا .

فرعون : حَسْبُنا جَدَلا ... ألَا نَجْنَحُ إلى الصراحة ؟

مريابو : ما كنتُ يوماً أُوثِرُ على الصراحة شيئاً !

فرعون : أنتَ يقيناً تأبَى أن يتشكَّكَ الناس فى سلامة الِانتخاب ، وإن حامتْ حولَه الظُّنون .

مريابو : ولا تنسَ كذلك أنى لا أُحِبُّ أن يتشكك الناس فى أولئك الذين يتصلون بالكهنة ، وينتمون إلى المَعْبَد ، من أمثال القائد « شونسو » ...

فرعون : تَعْنِى أن لك مَطْلَبَيْن : ألَّا يَجْرِىَ حولَ الِانتخاب كلام ، وألَّا تمتدَّ يدٌ إلى « شونسو » بسوء .

مريابو : لقد وضح لك ما أطلبُ غايةَ الوضوح ...

فرعون : بقى عليك أن تعرفَ ما هو قولى فيما تريد .

مريابو : إنى لقولك مرتقب .

فرعون : دَعْ « لفرعونَ » ما « لفرعون » ، وأنا أَدَعُ « لمريابو » ما « لمريابو » ... انتخابُ عروس النيل من اختصاصك ، فشأنَك به . وأما الجيشُ وقوَّاده ، فإنه لى ، وأنا أقضِى فى أمرِه قضائى .

مريابو : إذن قَبِلْتَ أن تُسْلِمَ إلىَّ « رونا » .

فرعون : إذا أَسْلَمْتَنِي « شونسو » .

يتواثقان لحظات ، وأعينهما متواصلة . ثم يتقدم رئيس الكهنة بطيء الخطا ، فيصافح « فرعون » .

مريابو : اتفقنا يا « فِرْعَوْن » .

فرعون : على أىِّ نحو يتحقق الأمر ؟

مريابو : سيكون « شونسو » رَهِينَ القصر ، حين تكون « رونا » فى لَبُوسِ عروس النيل ، آخذةً طريقَها فى المَوْكِبِ إلى النهر المقدَّس .

فرعون : حَسَناً ...

مريابو : الحَمْدُ للآلهة على ما يَسَّرَتْ لنا من توفيق ووئام ... لا صَلَاحَ لهذا البلد إلا بأن يكونَ « فرعونُ » ورئيسُ كَهَنته يداً واحدة وقلباً واحداً !

فرعون « مبتسما » : إنى حريص على أن تكونَ صلتى بك فوق الشوائب والمنازعات .

مريابو « رافعاً يده إلى « فرعون » محيياً » : طابَ يومُكَ يا « فرعون » .

فرعون « مستجيباً لرئيس الكهنة ، برفع يده له » : طاب يومك يا « مريابو » ...

ينصرف رئيس الكهنة .

« فرعون » يغدو ويروح مضطرب السير .

يضرب بالصنج .

يقدم « تحوتى » .

فرعون : أين « حابى » كبيرُ المَثَّالين فى القصر ؟...

تحوتى : إنه فى مَنْحِتِه يُتِمُّ تِمْثَالَ مولاى .

فرعون : أَبْلِغْهُ أمرى أن يَلْتَانى بعد هُنَيْهَة فى البَهْوِ الصغير .

ينحنى « تحوتى » منصرفاً .

« رميرى » يقدم مهرولا مبتاجا .

رميرى (« لفرعون » عالى الصوت) : أصحيحٌ يامولاى ؟ أكذا يامولاى ؟ أأنتَ أَسْمَحْتَ « برونا » عروساً للنيل ؟

فرعون : اِخْفِضْ من صوتك ، وتكلَّمْ فى هدوء .

رميرى « فى تخاضع » : عَفْوًا مولاى إن كنتُ قد جاوزتُ حدِّى ولكنَّ لى عذراً أنتَ تعلمه . . . لقد أعلن « مريابو » على المَلَإِ أن الاحتفال « برونا » عروساً للنيل سَيَتِمُّ غداً وَفْقَ البَرْنَامَج الذى أُعِدَّ .

فرعون : لم يكن « مريابو » إلا صادقاً فيما أعلنه على الملإ .

رميرى : كيف تبذل « رونا » فديةً لانتخابٍ كاذبٍ يشوبه غشٌّ وتزوير ؟

فرعون : لقد انتهيتُ أنا و « مريابو » إلى قرار ليس لنا عنه محيد . . .

رميرى « غاضب اللهجة » : ليغفرْ لى مولاى ما أنا قائله . . . لن أكتمَ عن الناس خبيئةَ ذلك الانتخاب المزوَّر . سأكشف تدبيرَ المُضلِّينَ باسم الدين !

فرعون : أرِحْ نفسَك من عناء هذا كلِّه . . . فلستَ بواجدٍ مَن يسمع لك . . . متى اتفقَ « فرعون » ورئيسُ الكهنة على شىء ، فلا شائبةَ ترْقَى إليه ، ولا تعقيبَ لأحدٍ عليه .

رميرى : إذن « رونا » فى طريقها إلى موتٍ حتْم ! . . . يا للكارثةِ الشُّؤمى . . . أفقدتْ « رونا » مَن يناصرها فى محنتها النَّكْراء ؟ أين فى ذلك وَجْهُ العدل ؟

فرعون : لا تجعلْ كلمةَ العدل مُضْغَةً فى فمك ، واترُكْها لمن يدركون معناها البعيد ، ويعملون على تحقيقها فى مُجْتمَع البَشَر . . .

رميرى : ما أتعسَ مجتمعَ البشر بذلك العدل الموهوم !

فرعون : اسمع يا « رميرى » . . . ربما أنكرتَ من الأحكام شيئاً ، فحسبتَه ظلماً لا عدل فيه ، ولكنك إذا استبطنتَ حقيقتَه وجدتَه العدلَ محْضا ... ما أصدقَ قول شاعرنا « نيمو » : شبيهةٌ هذه العدالةُ بضوء الشمس ، قد تحجبُها السُّحُب حيناً بعد حين ، ولكن السحبَ غوْثٌ وخِصْب ونَضْرَة !

رميرى : مهما يكن من أمر فليس شيء بقادر على أن يُنْسِيَنِي « رونا » . . . حبيبتى ، قِبْلَةَ آمالى ، وعروسَ أحلامى ... يالَحَظِّها التاعس !

فرعون : لا تتحدَّثْ عن حظٍّ « رونا » . . . فإنها لترى نفسَها أسعدَ أهل الأرض بهذا المصير ... هل شكَتْ إليك من أمرها شيئاً ؟ لكلِّ امرئٍ شعورُه بالسعادة ، وتقديرُه لها . . .

رميرى « مبتهلا » : أيتها الآلهة . . . امنَحينى بصيرةً أُدْرِك بها هذه المرامىَ ، حتى أرى الكونَ بالعين التى يراه بها « فرعون » !

فرعون : الآلهة التى تَضْرَع إليها تنهاك أن تُخْبِرَ « رونا » بشىء مما حام حولَ الإنتخاب من شُبُهات .

رميرى : أمستطيعٌ أنا أن أكْتُمَ ذلك عنها ؟

فرعون : لا تَحِيصَ من ذلك ، حتى لا تُثيرَ فى نفسها قَلَقاً ، وحتى لا تعكِّرَ من صفاء رُوحِها شيئاً ... دَعْها تَسْعَدْ بحظِّها فى طُمَأْنِينَةٍ وأمان .

رميرى « متجهم القسمات ، يائس النفس » : مولاى . . . هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ أهذا جزاء إخلاصى « لفرعون » ، وبَلائِى فى خدمة الوطن ؟ أفتحرموننى « رونا » أعزَّ عزيزٍ علىَّ ؟

فرعون : إخلاصُك « لفرعون » تَبْعَثُك عليه وطنيَّتك الصادقة ، وبلاؤك فى خدمة الوطن يدعوكَ إليه ضميرُكَ الحَىّ . وإنى لستُ بتاركٍ مَثُوبَتَكَ ، فسأجعلُك على المقاطعات الشرقية أميرَها . . .

رميرى : إنى لَأُوثر أن أكونَ جنديًّا أنقادُ طائعاً ، أو فلّاحاً أشقُّ الأرضَ كادحاً ، وبجانبى « رونا » أَغْنَى بها وأَسعَد ، من

أن أكونَ سيد الأمراء فى مملكة الدنيا ، إذا صَفِرَتْ من « رونا » يدى !

فرعون : قلتُ لك اتركْ « رونا » تَلْقَ ما كُتِبَ عليها من مَصِير . . . ليس فى طوق البشر أن يَمْحُوا ما سَطَّرَتْهُ الآلهةُ فى لَوْحِ المقادير !

رميرى : أنت سَلِيل الآلهة يا « فرعون » ، سلطانُك من سلطانها مُسْتَمَدّ ، ودعاؤك منها قريب ، فافعلْ شيئاً من أجلى . . . بل من أجلِ « رونا » !

فرعون : لقد حَكَمَت الآلهةُ ، وليس لحكمها من مَرَدّ ، وما أنا إلا يد تُنْفِذُ ما حَكَمَتْ به .

رميرى « فى ثورة » : لا بدَّ أن تكونَ الآلهةُ قد أرادتْ أن تَحْكُمَ علىَّ أنا أيضا بالموت !

يستل سيفه فيسدده إلى صدره ، ويتابع قوله :

سأقْتُلُ نفسى بالسيف الذى قتلتُ به أعداءك !

فرعون « وقد هرع إليه ينتزع السيف من يده » : لقد جُنِنْتَ لا ريبَ . . . أفتجرُؤ أن تصنعَ ذلك بنفسك ؟

رميرى : المجنون من يرضَى الحياةَ بعدَ هذه الأحداث !

فرعون : « صائحا فى إمرة » : حياتُكَ ليست ملكاً لك ... إنها لى ولوطنك !

رميرى : أدَّيتُ لك وللوطن ما وجبَ علىَّ ، والآن أبغِى لنفسى خلاصاً من دنيا الهموم والآلام . . .

فرعون : لدىَّ مهمة تقتضى حَزْمَكَ وعزمك ، وإنى وَاكِلُها إليك ، ولا إخالُك إلا مضطلعاً بها على خير وجه ، فافرُغْ لها ، وانهَضْ بها .

« رميرى » يستمع ولا يتكلم .

« فرعون » يقترب منه ، قائلا له :

اذكُرْ يا « رميرى » أنكَ مَدِين لى بكل ما بَاغَتَ ، فلقد كَفَلْتُكَ منذ نَشْأَتِك ، أُولِيكَ الرعاية والتعهُّد ، واتخذتُك أخاً مَحُوطاً بالحبِّ والعطف . . . اذكُرْ عهود الصبا ، إذ نَعِمْنا معا بخير ما ينعم به الأَخَوان من مُصافاة وتَرَاحُم وحنان . إن من يخاطبك الساعةَ ليس « بفرعون » ، وإنما هو صَفِيُّكَ الوَفِىّ .

رميرى : وهل أنكرتُ أنا من ذلك كله شيئا ؟ وهل كان رجائى إليك إلا تعويلًا على إخائك الحميم ، وودِّك الصَّمِيم ؟

فرعون : فلتَرْكَنْ إلىَّ بثقتك ، وَلْتُسْلِمْ إلىَّ أمرَك . ما أريدُ لك إلا الخير .

يواجهه قائلا :

أَتَأْبَى أن تكونَ لى كما أُؤَمِّلُ فيك ؟

رميرى « مستسلما » : إنى قابلٌ ما أردتَ ، فافعلْ ما شئت .

فرعون : إنى باعثُك إلى ملك « هورا » بابنته « نجاو » لتردَّها إليه مُكَرَّمة ، على أن تعالجَ أمرَها بما يحقِّقُ بين البلدين المودَّة والسلام .

رميرى : سأُجِيبُكَ إلى ذلك يا مولاى ، ولكنَّ لى شرطا . . .

فرعون « مبتسما » : أىّ شرط تريد ؟

رميرى : أن تَدَعَنِى حُرًّا أقرر مصيرى ، وأرسُم نهايةَ أمرى ، بعد أن أُنْجِزَ لك هذه المهمة التى رَغِبْتَ إلىّ فيها .

فرعون « ملاطفا » : إن طابَ لك ذلك ، فلا إنكارَ لى عليك . . غَداً بعد أن تنفضَّ مراسِمُ الاحتفال بعروس النيل عليك أن تنتظرَ الأميرةَ فى حاشيتها خَلْفَ مَعْبَدِ الأطراف .

رميرى : سأكونُ هنالك فى الموعِد . . .

تقدم « رونا » فيهرع إليها « رميرى » قائلا :

« رونا » !

رونا : « رميرى » !

فرعون : سأتركـكما خاليَيْن هُنَيْهة .

يمد يده إلى « رميرى » ، ويسر إليه قوله :

شَرَفُكَ يا « رميرى » رهينٌ بِصَوْنِ ما تحدَّثْنا فيـه ؛ وإنجاز ما تعاهَدْنَا عليه .

رميرى : إنى ما أَعِدُ « فِرْعَوْنَ » إلا أَوْفَيْتُ !

يخرج « فرعون » .

« رونا » تقبل على « رميرى » بسامة الثغر .

رونا : ما ذا بك ؟ مالى أراكَ مهموماً حزيناً ؟

رميرى : تسأليننى عن شىء أنتِ تعرفينه ؟

رونا : تَقْصِدُ أننا على وَشْكِ فراق ؟

رميرى : أَثَمَّةَ شىء أمَرُّ من الفراق ؟

رونا : ألم نتباعد من قبلِ هذا ؟

رميرى : كُنَّا على موعدِ لقاء !

رونا : وهل بِعَادُنا اليوم إلى غيرِ مُلْتَقَى ؟

رميرى : شَتَّان ما بين فُرْقَةِ الأمسِ وفُرْقَةِ اليوم !

رونا : دَعَاكَ الوطنُ إلى رِحْلَةٍ فَلَبَّيْتَ ، ودَعَتْنِي الآلهةُ إلى واجبٍ مقدَّس علىَّ أن أُلَبِّيَهُ . . . وإنا لملتقيان فى العالَمِ الآخر !

رميرى : أكذلك تنهدم قصورُ الأمانى التى بنيناها معاً ، لننعمَ فيها بهناءة العيش ، ونَغْنَمَ سعادةَ الحياة ؟ !

رونا : إن لقاءنا فى العالم الآخر أعزُّ مكاناً وأطيبُ مقاماً . إنه لقاء خالد لا فراقَ بعدَه . فخلِّ عنك ما فى هذه الحياة من هناءة زائف ، ومتاع سَلِيب !

رميرى : مهما يكن من أمر فإن حياتى بعدَكِ عَبَث ، ولستُ أحتمِلُ فيها بقاءً بعدَ اليوم .

رونا : بل إنك لتَبْقَى مؤدِّياً فى الحياة ما عليك من تَبِعات ، حتى تُسْبِغَ الآلهةُ عليك رضاها .

رميرى : لستُ أدرى كيف هان عليكِ أن ترضَىْ لنفسِكِ ولى هذا المصير ؟ .

رونا : ماذا كنتَ تريدُ منى أن أفعل ؟ أتكرَه لى هذا المجدَ الذى كَلَّلَتْ الآلهةُ به جبينى ، إذ اختارتْنى لأشرفِ واجبٍ وأكرمِ فِداء ؟

رميرى : ومجدُ الحب ... ألم يَعُدْ لك ببال ؟

رونا : الحبُّ كَمِين فى أعماق قلبى ، وإنه لباقٍ معى بقاءَ الرُّوح حيثُ أكون ... سنلتقى حبيبَيْنِ هنالك فى عالم الخلود !

رميرى : حقًّا لقد فَقَدْتُكِ يا « رونا » ... فقدتُكِ إلى الأبد ، ولا حيلةَ لى فى استبقائك ... كنتُ كبيرَ الأمل فى هذه الحياة ، أما اليومَ فقد أظلم فى عينى كلُّ سبيل ... لماذا تَأْبَيْنَ الإصغاءَ إلىّ ؟ لماذا لا تستجيبين لعاطفتى ؟ ... « رونا » ... « رونا » ... حبيبتى « رونا » ...

يحدق فيها ، ويأخذ وجهها بين يديه قائلا :

استمعى لما أقول ، حَدِّقى فى عينى . فلنلبِّ نداءَ القلب . فلنترك هذه البلادَ بما حَوَتْ من غِنًى ومجدٍ وجاه . فلنهرُبْ إلى بقعة نائية لا نعرفُ فيها من أحد ، بقعةٍ لا قُوَّادَ فيها ولا كُهَّان ... هنالك نحيا للحبِّ وحدَه ، هنالك نَتَمَلَّى نَعِيمَ العيش ، ويَصفُو لنا رحيقُ الحياة ... « رونا » ... « رونا » ...

رونا « وهى مأخوذة » : « رميرى » . . . « رميرى » ... أيتها الآلهة ، أَنِيرى لى طريقى !

رميرى : الآلهة معنا ، وإنها لَتَبْغِى لنا الخيرَ كلَّه ، ولا تريدُ بنا شرًّا أبدا .

رونا « ضعيفة الصوت » : لقد اختارتْنى الآلهة للنِّيل يا « رميرى » !

رميرى : إنه تدبيرُ الكُهَّان يا « رونا » ...

رونا : الكُهَّان يعملون بوحى من الآلهة .

رميرى « صائحاً فى ثورة » : إعلَمى أن هذا الانتخاب ...

ينقطع صوته ، متذكراً وعده « لفرعون » ألا يتكلم .

رونا : ماذا فى الانتخاب ؟

رميرى « وقد ضرب جبينه بيده » : لستُ أدرى ما أقول ؟ إنى مخبول !

يغدو ويروح .

رونا « مقبلة عليه ، متحننة » : إنه انتخاب مبارك يا « رميرى » ، فلتطمئنَّ نفسُك !

رميرى : دَعِينى لما بى .

رونا : سترانى غداً فى الموكب عروساً ، فاستقبلْ غَدَكَ بَهِيجاً .

رميرى : سيخرج الناس جميعاً ليَرَوْكِ مبتهجين متهلِّلين ، أما أنا فلا خروجَ لى ... سأبقى وحدى لأحزانى وهمومى !

رونا : لا بد أن تَشْهَدَ موكبى ... أريد أن أراك على رأسِ الناس .

رميرى « صائحاً » : هيهات أن أشهدَ لهذا الحفل مَظْهَراً ...

رونا : ما أقساك !

رميرى « وقد أمسك بكتفيها محدقاً إليها » : أقادرٌ أنا على أن أشهدَ احتفالَ موتِك ؟

رونا : بل إنك تشهد احتفالَ حياتى ... حياتى الخالدة !

تتعالى أناشيد الابتهاج بعروس النيل ، وتمجيد من اختارتها الآلهة .

« رونا » تصغى مسحورة بما تسمع .

« رميرى » يتهالك على أحد المقاعد ، وقد أسند جبهته إلى يده فى يأس وقنوط .

تتدانى منه « رونا » فتقبل جبينه ، فيبسط لها ذراعيه ، يريد أن يستبقيها معه ، فتتراجع عنه فى لطف ، وأنغام الأناشيد ترجم سمعها ، ثم تمضى هينة الخطا . . .

رميرى « فى نشيج » : « رونا » ! ... « رونا » !

الفصل الثالث

المنظر الأول

شاطىء النيل وقد اصطف على حافته النخيل .

منصة تبوأها « فرعون » ، وعن يساره الكاهن الأعظم « مريابو » . وقد أحاط بهما الكهنة والنبلاء والقواد ورجالات الدولة ، وجموع من الجند والأحراس قام كبيرهم « نحوتى » بجانب « فرعون » .

ترى عن كثب حشود من سواد الشعب متهللين ، ملوحين بأيديهم ، يشملهم طرب وابتهاج .

يميل « فرعون » على الكاهن الأعظم: فيومئ إليه علامة الإيجاب ، وينهض من فوره ، يلقى خطبة المهرجان .

مريابو «خطيباً» : أيها الشعبُ الثابتُ إيمانُه، الراسخةُ عقيدتُه، المستمسكُ بتقاليده المَجيدة ، الأمينُ على تُراثِه من السُّنَن الصالحة ...

أيها الشعبُ الوفيُّ لمَليكه ، المخلِصُ لكبيرِ كُهَّانه ...

الشعب يتصايح فى حماسة .

« مريابو » يتابع خطبته :

إن « آمونَ » ليمنحكُمْ على يدى البركةَ والرضا ، وسيُجْرى عليكم ماءَ النيل فيَّاضاً يُحْيى الأرضَ بعد مَوْتِها ، فينتعشُ الزرع بعد ذُبوله ، وتمتلئُ بيادِرُكم بالقمح والشعير ... سيجنّبُكُمْ « آمونُ » فى عامكم هذا وَيْلاتِ المجاعة والفَقْر والحِرْمان ، وسيُسْبِغُ عليكم عيشةَ اليُمْنِ والرخاء . فاحمَدُوا الأرباب ، ومجّدوا « فِرْعَوْنَ » ...

أحد الناس « صائحاً » : الحَمْد « لآمونَ » . المَجْد « لِفِرْعَوْنَ » . الوَلاء لكبير الكُهّان !

الشعب يردد هذا الهتاف .

« مريابو » يجلس .

« فرعون » ينهض .

فرعون « خطيبا » : أيها الشعب المَجيد ، إننا نَسْهَر دائماً على رَفاهِيَتِكم ، ونَبْذُل ما فى الوُسْعِ لإسعادكم . وها نحنُ أُولاء نحتفل اليومَ بمِهْرَجانِ عروس النيل ، وَفْقَ الرسوم الدينية المقرّرة ، والتقاليد الكريمة المعزّزة ، بمعاونة الكاهن الأعظم !

أحد الناس « صائحاً » : الحَمْد « لآمون » . المَجْد « لِفِرْعَوْنَ » . الولاء لكبير الكُهّان !

الشعب يردد هذا الهتاف .

« فرعون » يجلس .

« مريابو » يقف .

مريابو « معلياً صوته » : باسم الرَّبِّ الأَعْلَى ، نفتتح مِهْرَجَانَ عروس النيل .

تدق الطبول ، وينفخ فى الأبواق .

« مريابو » يستأذن « فرعون » ، ويخطو تاركا المنصة ، فيستبقيه لحظات ، ويسر إليه قوله .

فرعون « لمريابو » : و « شونسو » ؟

مريابو : لا أَنقُضُ عهدى . « شونسو » فى قصرِك ، تَحْرُسُه جُنْدُك .

يومئ « لفرعون » ، ثم يخطو فى وقار ليتصدر موكب عروس النيل .

فرعون (« لتحوتى » ، خافت الصوت) : أَحَضَرَ المَثَّالُ « حابى » ؟

تحوتى « مؤكداً » : نعم ، وقد أَنفذْنا أمرَ مولاى كما أراد .

« فرعون » ياق فى أذن « تحوتى » بضع كلمات ، وهو يشدد عليه بحركة يديه ، لإنفاذ ما رغب فيه .

فرعون (« لتحوتى » مسموع الصوت) : أَوَعَيْتَ ما أقول ؟

تحوتى « وهو ينحنى » : وعيتُ كلَّ شىء . لأمرِكَ الطَّوْع !

يتجلى موكب عروس النيل ، وهى فى خفرتها ، ومن حولها العذارى فى الثياب الهفهافة البيض ، وقد تجمع خلفهن الكهان والحاشية وجمهرة من الناس ..

الموكب يتقدم .

عروس النيل تحيي « فرعون » ، فيرد تحيتها .

الموكب يتابع سيره على أنغام المزامير ، وقرعات الدفوف ، وضجة الشعب .

يتخلف الكاهن الأعظم ويبقى ماثلا يراقب الموكب على مرأى من « فرعون » ومسمع ، ثم لا يلبث الكاهن الأعظم أن يعلو صوته .

مريابو : المَوْكِبُ يَمْضِي فى مَهَابة وجلال ... بارَكَتْهُ الآلهةُ من حَفْل عظيم ... قاربَ الموكِبُ الشاطىء ... عروسُ النيل تتهادَى من المِحَفّة ...

يسمع من بعيد تصايح وهتاف .

« مريابو » يتابع قوله :

العروس تسير إلى زَوْرَقِها المقدّس ... إنها تَصْعَد فيه .

التصايح والهتاف فى اشتداد .

لقد جَرَى الزورقُ باسمِ الآلهة !

تبدو « رتوتى » باكية متحسرة متعثرة .

رتوتى : « رونا » ... ابنتى ... حَبَّةَ قلبى !

ترتمى على أقدام « فرعون » وقد علا نشيجها ، ضارعة فى حدة .

تلقى على « مريابو » نظرة شزراء ، وتهم بأن تقذفه بقول .

مريابو (صائحاً « برتوتى ») : المجد « لآمون » ! ... المجد للآلهة !

تحدق « رتوتى » فى « مريابو » ، ثم لا تلبث أن تتخاذل ، فتهوى على الأرض .

رتوتى (فى استسلام وخشوع) : المجـد « لآمون » ! ... المَجْدُ للآلهة !

الأناشيد تترامى أصداؤها .

obeikandl.com

المنظر الثانى

بقعة من الصحراء تقوم فيها أطلال معبد الأطراف .
« رميرى » على صخرة وقد علاه الكتئاب .
يدخل « تحوتى » كبير أحراس « فرعون » .

تحوتى (منحنيا للتسليم على « رميرى ») : سيدى القائد .

رميرى : « تحوتى » ؟ !

تحوتى : بعثنى إليك « فرعونُ » العظيمُ فى المُهِمَّة التى تعرف .

رميرى : مهمَّةُ إرْحَالِ الأميرة « نجاو » .

تحوتى : هى عَيْنُها يا سيدى .

رميرى (وقد نهض من مجلسه ، وأقبل على « تحوتى » فى اهتياج) :
ماذا عندَك يا « تحوتى » من أخبار عَرُوس النيل ؟

تحوتى (وقد حنى رأسه) : ذلك أمرٌ كان وانقَضَى . . . إنَّا بِحُكْمِ الآلهة راضون !

رميرى : وَدَاعاً ذُخْرَ حياتى ، وقِبلةَ آمالى !

تحوتى (وهو يقدم له لفيفة من ورق البردى) : أوامرُ « فِرْعون » .

رميرى (وقد تناولها وجعل يبسطها يائسا ويقرأ) : « نحن « فِرْعَوْن »

ملك « مصر » . عَيَّنَّا قائدَنا المُظَفَّرَ « رميرى » أميراً على المقاطعات الشرقية ، ونصرِّح له بأن يتزوجَ الأميرةَ التى تَصْحَبُه » .

ما يكاد يبلغ هذا حتى يصيح :

كيف ؟ أتزوَّج الأميرةَ « نجاو » ؟ هذا لا يكون !

تحوتى : لك الخِيَرَةُ من أمرك ، فالمَلِكُ يصرِّح لك أن تتزوجَها إذا أَحْبَبْتَ ، ولكنه لا يَحْتِمُ عليك زواجَها .

رميرى : لقد وعَدتُ « فرعونَ » أن أُنفِذَ رغبتَه فى إرحال الأميرة إلى أبيها ، وسأُنْجِزُ له وعدى إيَّاه ، ثم أُصنَعُ بنفسى بعد ذلك ما أشاء .

تحوتى : ذلكَ إليك . . . يَأْذَنُ لى الأميرُ أن أُسْلِمَ إليه وديعةَ « فِرْعَوْنَ » .

« رميرى » يشير إليه أن يفعل .

« تحوتى » ينصرف .

رميرى (وهو يذرع البقعة مهتما) : يصرِّح لى « فرعونُ » بأن أتزوجَها . . . أأكون زوجاً لغير « رونا » ؟ حرامٌ علىَّ النساءُ حتى ألقاها !

تلوح امرأة ملففة فى شملة ، قد غطى وجهها نقاب ، ومن خلفها « تحوتى » .

يتقدم « تحوتى » قائلا « لرميرى » :

تحوتى : هالكَ وديعةَ « فِرْعَوْنَ » .

ينصرف « تحوتى » .

« رميرى » ينحنى تحية للأميرة ، فترد تحيته بمثلها .

رميرى : تأذَنُ لنا الأميرةُ أن نبدأَ الرحيل .

الأميرة لا تنبس .

« رميرى » يستأنف قوله :

أَثَمَّةَ مانعٌ من أن نبدأَ الرحيل ؟

الأميرة على صمتها تواجهه .

« رميرى » وقد بدت دهشته ، يصيح مهتاجا :

لماذا لا تُجِيبُنى الأميرة ؟ إننا على أُهْبَةِ المَسِير .

الأميرة (وقد أماطت النقاب عن وجهها) : لا مانعَ عندى من الرَّحيل .

« رميرى » لا يكاد يرى وجهها حتى يأخذه الذهول ، إذ يجد أن التى أمامه ليست إلا « رونا » .

يلبث لحظات يحدق إليها فاغراً فاه .

لا يكاد يصدق ناظريه ، فيضرب جبهته بيده ليتبين : أفى يقظة هو أم فى منام ؟

رميرى : مَنْ أَرَى ؟ « رونا » ... « رونا » ...

رونا (دانية منه) : أجل ... « رونا » ... هى عَيْنُها ... تراها بعد أن فَقَدْتَ كلَّ أملٍ فى حياتها ... تَقَدَّمْ ... لستَ فى حُلْمٍ ، وما تشهَدُه بعينك ليس بطيف ... أنا « رونا » !

رميرى (يندفع نحوها ، آخذا إياها بين ذراعيه ، قائلا فى اهتياج ولهفة) : « رونا » ... حبيبتى « رونا » ... خَبِّرِينى أىّ تدبير حَدَث ؟ مَنْ أَنْجَاكِ من الموت ؟

رونا : « فرعونُ » !

رميرى : وماذا صنعوا فى شأن عروس النيل ؟

رونا : صاغ « حابى » تِمْثَالاً على هيئتى ، وَزَيَّنَه بمثل مَلْبَسى وحِلْيَتِى ، وخَبَأَ « تحوتى » التِّمْثَالَ فى الزورق الذى أُعِدَّ لى . فلما بَلَغْنا عُرْضَ النهر ، وحان أن أُلْقَى فى مُضْطَرَبِ الموج ، أسرع « تحوتى » إلى التِّمْثَالِ فجعله مكانى ، وجعلنى مكانَه ، وتَمَّ الاحتفالُ على خير مايُرَام ، لا يَشُكُّ أحدٌ فى أنى قد زُفِفْتُ عروساً للنيل .

رميرى (فرحا ، طلق المحيا) : أكنتِ تعلمينَ هذا التدبير ؟

رونا : لم أكن أعلم شيئاً حتى آخر لحظة !

رميرى : وهل أنتِ نادمةٌ على ما دَبَّرَه «فرعون» ؟

رونا : لقد عرفتُ أن الانتخاب كان زائفاً ، وأن الآلهة لم يكن لها يد فى اختيارى .

رميرى (وهو متشبث بها) : أحالمٌ أنا ؟

يبدو « فرعون » ومن ورائه « تحوتى » .

فرعون : لستَ فى حُلْمٍ يا « رميرى » . . . إنها الحقيقةُ السافرة !

« رميرى » و « رونا » يقبلان على « فرعون » ، فيترامیان عند قدميه ، فينهضهما .

رميرى (لفرعون) : ما أجملَ ما صنعتَ ، وما أروعَ ما دَبَّرتَ ! بمثل حكمتك تُساس الدولة ، وبمثل عقلك تُعالَج المشكلات .

فرعون : إنى لَقَرِير العين بما تَمَّ من خير . حَمَيْتُ الأمةَ من فتنة شَعْوَاء ، وعرفتُ لك حَقَّكَ على الوطن ، وَوَفَيْتُ «لرونا» التى لها عَلَىَّ واجبُ الإخاء !

رونا : ما أسعدَنى بوفائكَ العظيم يا مولاى ، لولا أمرٌ يُعَكِّر علىَّ الآنَ صَفْوَ سعادتى ...

فرعون : أَعْلَمَ ما تَعْنِينَ يا « رونا » ... حَتْمٌ أن تفارقى « مصر »، حتى لا تَقَعَ عليك العيون . لقد زُفَّتْ « رونا » عروساً للنيل ، وأصبحتْ فى ذمة « أوزوريس » . فأما أنتِ فأميرةُ المقاطعات الشرقيــة ، تُرَافِقِينَ زوجَك الأميرَ « رميرى » وتعايشينه ، فى ذلك المكانِ القصىّ !

رونا : أليس لى أن أؤمِّلَ فى العودة يوماً إلى الوطن ، أَنْعَمَ بجوارِكَ يا مولاى ؟

فرعون : لنا اليومُ الذى نحن فيه ، ولِغَدٍ شأن لا نَدْرِيه ...

رميرى : دُمْتَ للغد المرجوِّ ، وعَزَّ بك المستقبلُ المأمول .

فرعون (رافعاً يده) : وَدَاعاً !

« رميرى » و « رونا » يتقدمان إليه ، راكعين عنده ، مقبلين يديه .

« فرعون » يباركهما ملاطفاً رأسيهما . . .

ينسدل الستار

أحدث مؤلفات

محمود تيمور

مجموعات قصصية :

كل عام وأنتم بخير

إحسان لله

خلف اللثام

شفاه غليظة

بنت الشيطان

مكتوب على الجبين

فرعون الصغير

قال الراوى

شباب وغانيات .

قصص مطولة :

كليو باترة فى خان الخليلى

سلوى فى مهب الريح

نداء المجهول .

قصص تمثيلية :

ابن جلا

فداء

اليوم خمر

حواء الخالدة

المخبأ رقم ١٣

سهاد

المنقذة

عوالى

قنابل

أبو شوشة والموكب .

صور وخواطر :

شفاء الروح

ملامح وغضون

أبو الهول يطير

عطر ودخان

فن القصص

ضبط الكتابة العربية

obeikandl.com